تفسير
الآيات

سورة الإسراء
الدرس الأول:
(الناموس الكونى)
الآيات من ١/ ٢١
مدة الحفظ: يومان.

تبدأ السورة بتسبيح الله:

١ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ...﴾ وقال بعبده تشريفا له فى هذا المقام العظيم ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أسرى برسول الله ﷺ من دار أم هانئ بجوار المسجد الحرام، ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ وهو مسجد بيت المقدس، وسمى الأقصى: لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالثمار والأنهار ومنازل الأنبياء والصالحين. وفيه من بركات الدنيا والآخرة ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أى ما أراه الله سبحانه فى تلك الليلة من العجائب ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ بكل مسموع ﴿الْبَصِيرُ﴾ بكل مبصر. وكان الإسراء بجسده ﷺ مع روحه، وقيل بروحه فقط.

وتجئ هنا سيرة موسى وبنى إسرائيل فى مكانها المناسب من سياق السورة فالمسجد الأقصى هو قلب الأرض المقدسة التى أسكنها الله بنى إسرائيل ثم أخرجهم منها:

٢ ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أى التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أى ذلك الكتاب ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يهتدون به ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ كفيلاً بأمورهم.

٣ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ...﴾ ذكرهم الله بتلك الحال حيث لم يكن العون إلا من الله، ولا ناصر إلا هو ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ وصف الله نوحًا بكثرة الشكر حثا لذريته على شكر الله سبحانه.

٤ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ...﴾ أى حكمنا وأخبرنا، والمراد بالكتاب: التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ هى الأرض المقدسة التى بها المسجد الأقصى، وهى أرض بيت المقدس ﴿مَّرَّتَيْنِ﴾.

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ لتستعلن على الناس، وليظهرن أمركم ودولتكم بالظلم والبغى.

٥ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا...﴾ أى أولى المرتين المذكورتين ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ﴾ أى قوة فى الحروب وبطش عند اللقاء ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ أى عاثوا وترددوا وتخللوها، وطافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين وجائين ﴿وَكَانَ﴾ ذلك ﴿وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ أى كائنا لا محالة.

٦ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ...﴾ أى الدولة والغلبة، وذلك عند توبتكم ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ بعد نهب أموالكم، وسبى أبنائكم ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أكثر من عدوكم فى عدد رجال الحرب

٧ ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ..﴾ أن أحسنتكم أفعالكم وأقوالكم على الوجه المطلوب منكم فثواب ذلك عائد عليكم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ أفعالكم وأقوالكم ﴿فَلَهَا﴾ أى فقد أسأتم لأنفسكم لا لغيرها ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أى حضر وقت ما وعدوا من عقوبة المرة الثانية ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ ويتبين فى وجوهكم الهزيمة والخزى والعار بعد التكبر ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ أى يدمروا ويهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ أى ما غلبوا عليه من بلادكم ﴿تَتْبِيرًا﴾ أى تدميرا...

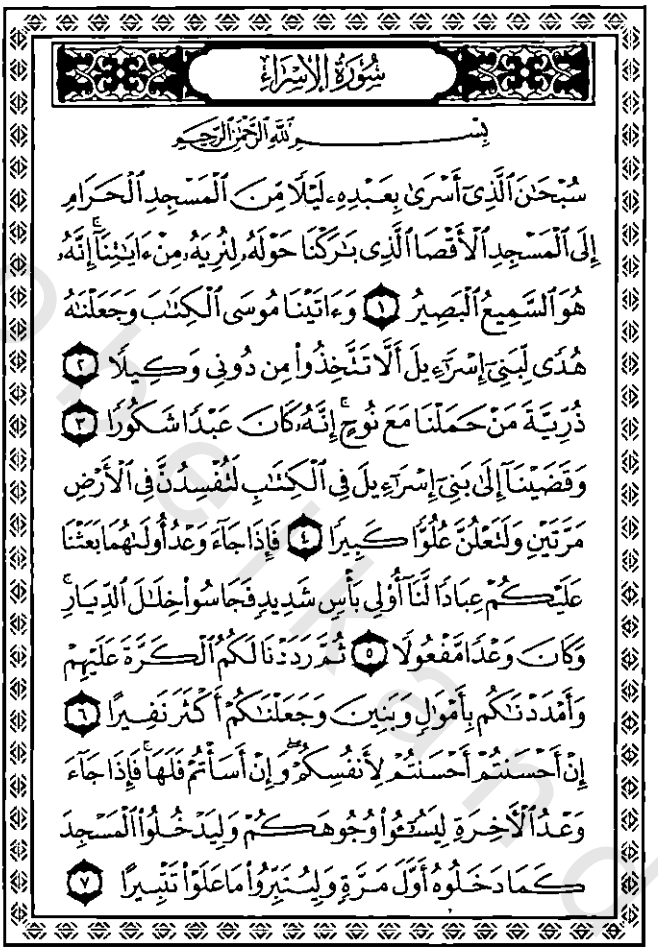
سُورَةُ الإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ
الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

٨ ﴿عسى ربكم أن يرحمكم...﴾ يابنى إسرائيل بعد انتقامه منكم فى المرة الثانية ﴿وإن عدتم﴾ للثالثة ﴿عدنا﴾ إلى عقوبتكم ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ الحصير المحبس، فيحصرون فيها ولا يتخلصون عنها أبدًا.

وينتقل السياق إلى القرآن:

٩ ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...﴾ وهى ملة الإسلام ﴿ويبشر المؤمنين﴾ بما اشتمل عليه من الوعد بالخير آجلاً وعاجلاً ﴿الذين يعملون الصالحات﴾ التى أرشد إلى عملها القرآن ﴿أن لهم أجرا كبيرا﴾

١٠ ﴿وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة...﴾ وأحكامها المبينة فى القرآن ﴿أعتدنا لهم عذابا أليما﴾ وهو عذاب النار.

١١ ﴿ويدع الإنسان بالشر...﴾ وهو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما لا يحب أن يستجاب له ﴿دعاءه بالخير﴾ فلو استجاب الله دعاءه على نفسه بالشر هلك، لكنه لم يستجب تفضلا منه ورحمة ﴿وكان الإنسان عجولا﴾ أى مطبوعًا على العجلة، ومن عجلته أنه يسأل الشر كما يسأل الخير.

١٢ ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين...﴾ لما فيهما من الاختلاف والأظلال والإنار، مع تعاقبهما ﴿فمحونا آية الليل﴾ طمسنا نورها، والمراد أنه خلقها ممحوة الضوء مطموسة ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ مضيئا تبصر فيه الأشياء ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ أى لتتوصلوا بضياء النهار إلى التصرف فى وجوه المعاش ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ إذ لا يكون علم عدد السنين وحساب الشهور والأيام، إلا باختلاف الليل والنهار ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾ أى كل ما أراد الله بيانه لكم من أمر دينكم.

١٣ ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه...﴾ وطائره هو ما طار عنه من عمله ﴿ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾ أى نجمع له عمله كله فى كتاب يعطاه يوم القيامة.

١٤ ﴿اقرأ كتابك...﴾ أى إنك لم تظلم ولم يكتب عليك إلا ما عملت. وقوله ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ أى يكفيك نفسك حاسبًا لأعمالك محصيا لها عليك أيها الإنسان.

١٥ ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه...﴾ فهى التبعة الفردية التى تربط كل إنسان بنفسه. إن اهتدى فلها ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ وما من نفس تحمل وزر أخرى، إنما يسأل كل عن عمله.

وترتبط قاعدة العمل والجزاء كالتالى:

١٦ ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾ سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعم فيها الفسق، فتحللت وترهللت، فحقت عليها سنة الله، وأصابها الدمار والهلاك.

١٧ ﴿وكم أهلكنا من القرون...﴾ أى الأمم ﴿من بعد نوح﴾ كعاد وثمود. ﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا﴾ لا تخفى عليه منها خافية.

معانى الكلمات:

فمحونا آية الليل: خلقنا القمر مطموس النور مظلماً.

آية النهار مبصرة: الشمس مضيئة منيرة للأبصار.

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

١٨ ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء...﴾ فإن الله يعجل له حظه في الدنيا حين يشاء، ثم تنتظره في الآخرة جهنم عن استحقاق ﴿لمن نريد﴾ نحن، لا ما يشاؤه ذلك المريد.

١٩ ﴿ومن أراد الآخرة...﴾ أي أراد بأعماله الدار الآخرة ﴿وسعى لها سعيها﴾ أي السعي اللائق يطالبها على القانون الشرعي، من دون ابتداع ولا هوى ﴿وهو مؤمن﴾ بالله إيمانا صحيحا ﴿فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾ عند الله: أي مقبولا غير مردود.

٢٠ ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء...﴾ نرزق المؤمنين والكفار، وأهل الطاعة وأهل المعصية، لا تؤثر معصية العاصي في قطع رزق ﴿من عطاء ربك﴾ بمحض التفضل ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾ أي ممنوعا.

٢١ ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض...﴾ وذلك لحكمة بالغة تقصر العقول عن إدراكها ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ أي أن التفاضل في الآخرة ودرجاتها بين المؤمنين والكفار فوق التفاضل في الدنيا.

الدرس الثاني:
(الوحدانية)
الآيات من ٢٢/٣٩
مدة الحفظ: يومان

يبدأ الدرس بالنهي عن الشرك:

٢٢ ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر...﴾ أيها المكلف.. لا تجعل -في عبادتك لربك- شريكا له سبحانه ﴿فتقعد مذموما﴾ أي على إشراكك به ﴿مخذولا﴾ لأن الله تعالى لا ينصرك بل يكلك إلى الذي عبدت معه، وهو لا يملك لك ضرا ولا نفعا.

٢٣ ﴿وقضى ربك...﴾ أي أمر أمرا جزما بإفراده بالعبادة ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ أي وقضى بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا، ثم خص سبحانه حالة الكبر بالذكر ﴿إما يبلغن﴾ أي إن بلغ ﴿عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ عندك أي في كنفك وكفالتك ﴿فلا تقل لهما أف﴾ وهي كلمة تنبئ عن التضجر ﴿ولا تنهرهما﴾ النهر: الزجر والغلظة. أي لا تكلمهما ضجرا صائحا في وجوههما ﴿وقل لهما قولا كريما﴾ فبدلا من التأفيف والنهر كن لينا لطيفا مع التأدب والحياء والاحتشام.

٢٤ ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة...﴾ فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك، كما فعلا بك حال صغرك ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ أي رحمة مثل تربيتهما إلى أو لأجل تربيتهما لي.

٢٥ ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم..﴾ بما في ضمائركم من الاخلاص ﴿إن تكونوا صالحين﴾ فلا يضركم ما وقع من الذنب الذي تبتم عنه ﴿فإنه كان للأوابين غفورا﴾ أي الرجاعين عن الذنوب إلى التوبة، فمن تاب تاب الله عليه.

٢٦ ﴿وآت ذا القربى...﴾ وهو صلة الرحم ﴿والمسكين﴾ هو الفقير العاجز عن الكسب ﴿وابن السبيل﴾ هو المنقطع في سفره ﴿ولا تبذر تبذيرا﴾ وهو الإسراف المذموم.

٢٧ ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين...﴾ والإسراف في الإنفاق من التسيطان ﴿وكان الشيطان لربه كفورا﴾ لا يعمل إلا شرا، ولا يأمر إلا بعمل الشر، فالمبذر كفور.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي
الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

٢٨ ﴿ وإما تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك... ﴾ أى إذا سألك أقاربك أعرضت عنهم لفقد النفقة ﴿ فقل لهم قولا ميسورا ﴾ أى عدهم إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله.

٢٩ ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك... ﴾ أى لا تكن بخيلا منوعا، لا تعطى أحدا شيئا ﴿ ولا تبسطها كل البسط ﴾ أى ولا تسرف فى الإنفاق.

٣٠ ﴿ إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر... ﴾ أى يوسعه على بعضه ويضيقه على بعض فهو سبحانه ﴿ خبيرا بصيرا ﴾ لا يخفى عليه من ذلك خافية.

٣١ ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق... ﴾ أى خشية الفقر، فأنتم لستم لهم برازقين ﴿ نحن نرزقهم وإياكم ﴾ فلماذا تصنعوا بهم هذه الفعلة النكراء؟ ﴿ إن قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾ إثما عظيما

٣٢ ﴿ ولا تقربوا الزنى... ﴾ إن فى الزنا قتلاً من نواحى شتى، وهو قتل للجماعة التى يفشو فيها أيضا ﴿ إنه كان فاحشة ﴾ متبالغا فى القبح مجاوزا للحد ﴿ وساء سبيلا ﴾ لأنه يؤدى إلى النار ويقضى إلى اختلاط الأنساب.

٣٣ ﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله... ﴾ التى جعلها الله معصومة بعصمة الدين ﴿ إلا بالحق ﴾ وهو ما يباح به قتل النفس، كالردة، والزنى من المحصن، كالقصاص من القاتل عمدا عدوانا ﴿ ومن قتل مظلوما ﴾ لا بسبب من هذه الأسباب ﴿ فقد جعلنا لوليه ﴾ أى لمن يلى أمره من ورثته، والسلطان: التسلط على القاتل: إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية ﴿ فلا يسرف فى القتل ﴾ بمثل بالقاتل أو يقتل غير القاتل ﴿ إنه كان منصورا ﴾ أى مؤيدا فلقد أمر الله أهل الولايات بمعونته والقيام بحقه.

٣٤ ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم... ﴾ ولكن يباشره ولى اليتيم بالخصلة ﴿ بالتى هى أحسن ﴾ وهى حفظه وطلب الربح فيه ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ قوموا بحفظه على الوجه الشرعى.

٣٥ ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم... ﴾ أى أتموه ولا تخسروه ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ وهو الميزان الذى توزن به البضائع ﴿ ذلك ﴾ وهو إيفاء الكيل ﴿ خير ﴾ لكم عند الله ﴿ وأحسن تأويلا ﴾ أى أحسن عاقبة.

٣٦ ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم... ﴾ فنهى عن أن يقول الإنسان ما لا يعلم ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ يسأل صاحبها عما استعملها فيها، وقيل إن الله سبحانه ينطق الأعضاء هذه عند سؤالها، فتخبر عما فعلت.

٣٧ ﴿ ولا تمش فى الأرض مرحا... ﴾ أى خيلاء وفخرا ﴿ إنك لن تخرق الأرض ﴾ بمشيك عليها ﴿ ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ فأنت لن تطاول الجبال.

٣٨ ﴿ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها... ﴾ فإن الله سبحانه يكره كل هذا ويبغضه ولا يرضاه.

معانى الكلمات:
يبلغ أشده: قوته على حفظ ماله
ولا تقف: لا تتبع.

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ ۚ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

٣٩ ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة..﴾ الإشارة إلى ما تقدم ذكره وهي خمسة وعشرون تكليفا ﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر﴾ كرر النهي عن الشرك تأكيدا وتقريرا ﴿فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾ موخا مطرودا.

الدرس الثالث:
(أوهام الوثنية الجاهلية)
الآيات من ٤٠/٥٧
مدة الحفظ: يومان

٤٠ ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا...﴾ هو خطاب للكفار القائلين بأن الملائكة بنات الله ﴿إنكم لتقولون قولا عظيما﴾ بالغا في العظم والجراءة على الله.

٤١ ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا...﴾ فقد جاء هذا القرآن بالتوحيد ﴿وما يزيدهم إلا نفورا﴾ ولكنهم يزيدون نفورا كلما سمعوا هذا القرآن.

ويوجه الخطاب للقائلين بأن مع الله آلهة أخرى:

٤٢ ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ فالقضية كلها ممتنعة وليس هناك آلهة مع الله.

٤٣ ﴿سبحانه..﴾ التسبيح التنزيه ﴿وتعالى﴾ تباعد ﴿عما يقولون﴾ من الأقوال الشنيعة والفرية العظيمة ﴿علوا﴾ تعاليا ﴿كبيرا﴾.

٤٤ ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ من مخلوقاته الذين لهم عقول وغيرهم من الأشياء التي لا تعقل ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ فشمل كل الأشياء يسبح بطريقته ولغته ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ لا تفهمون ما تقول ﴿إنه كان حليما غفورا﴾ فمن حلمه الإمهال لكم ومن مغفرته لكم أنه لا يؤخذ من تاب منكم.

٤٥ ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا﴾ يمنعهم من السماع.

٤٦ ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة...﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ أي لئلا يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ أي صمما وثقلا ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ غير مشفوع بذكر آلهتهم ﴿ولوا على أدبارهم نفورا﴾ أعطوك ظهورهم لئلا يسمعوا.

٤٧ ﴿نحن أعلم بما يستمعون به...﴾ من الاستخفاف بك وبالقرآن واللغو في ذكرك ربك وحده ﴿وإذ هم نجوى﴾ أي ونحن أعلم بما يتناجون بالتكذيب والإستهزاء ﴿إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ سحر فاختلط عقله.

٤٨ ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال...﴾ قالوا تارة إنك كاهن، وتارة ساحر، وتارة شاعر وتارة مجنون ﴿فضلوا﴾ عن طريق الصواب في جميع ذلك ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ إلى الهدى، أو إلى الطعن الذي تقبله العقول ويقع التصديق له.

كذلك كذبوا بالبعث وكفروا بالآخرة.

٤٩ ﴿وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا...﴾ ذلك أنهم لم يكونوا يتدبرون أنهم لم يكونوا أحياء أصلا ﴿أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ والاستفهام هنا للاستنكار والاستبعاد.

معاني الكلمات:

صرفنا: كررنا القول

سبيلا: بالمغالبة والممانعة.

﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

وكان الرد على ذلك التعجب:

٥٠ ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ معناه: لوكنتم حجارة أو حديدًا لأعادكم الله كما بدأكم، ولأماتكم ثم أحياكم أول مرة.

٥١ ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ..﴾ يعني السماء والأرض والجبال ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ إلى بعد أن تصير رفاتا أو حجارة أو حديدا ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي يعيدكم الذي خلقكم عند ابتداء خلقكم ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحركونها استهزاء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ أي البعث والإعادة ﴿قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي هو قريب، وكل ما هو آت قريب.

٥٢ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ...﴾ الله إلى المحشر ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ أي منقادين له حامدين ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في قبوركم ﴿إِلَّا﴾ زمنا ﴿قَلِيلًا﴾ تحقرت الدنيا في أعينهم.

٥٣ ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ عند محاورتهم للمشركين يقولوا أحسن الكلام ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ إذا قيلت الكلمة السيئة، أي بالفساد وإلقاء العداوة والإغواء ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ أي متظاهرًا بالعداوة مكاشفًا بها:

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ نزلت في عمر بن الخطاب -رضى الله عنه-، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه، فأمر الله تعالى بالعفو.

٥٤ ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ قيل: هذا خطاب للمشركين، والمعنى: إن يشأ الله يوفقكم للإسلام فيرحمكم، أو يميتكم على الشرك فيعذبكم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ ما وكلناك في منعهم من الكفر، وقسرهم على الإيمان.

٥٥ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ أعلم بهم ذاتا وحالا واستحقاقًا ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ كما اتخذ الله إبراهيم خليلا، وموسى كليما، وجعل عيسى كلمته وروحه، وجعل لسليمان ملكًا عظيما وغفر لمحمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ هو الكتاب الذي أعطاه الله داود، ويسمى: مزامير داود، وكله كان مواعظ وأذكارا.

ويستطرد الدرس إلى الاتجاه إلى الله:

٥٦ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ..﴾ زعمتم أنهم آلهة من دون الله ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾ أي لا يستطيعون تحويله من حال إلى حال.

٥٧ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ...﴾ ليعلموا أيهم أقرب إلى الله سبحانه بالطاعة والعبادة ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ كما يرجوها غيرهم ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كما يخافه غيرهم ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ حقيق بأن يحذره العباد من الملائكة والأنبياء وغيرهم.

الدرس الرابع:

(المصير النهائي للبشر جميعا)

الآيات من ٥٨/٧٢

مدة الحفظ: يومان.

٥٨ ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾ إما بموت، وإما بعذاب يستأصلهم قبل يوم القيامة ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الإهلاك والتعذيب ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ أي في اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ أي مكتوبا.

معاني الكلمات:

يَنزَغُ بَيْنَهُمْ: يفسد ويهيج الشر بينهم

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

وجاءت الرسالة الأخيرة غير مصحوبة بأية خوارق:

٥٩ ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون...﴾

سبب النزول:

عن ابن عباس: قال: سأل أهل مكة النبى ﷺ أن يجعل الصفا ذهبا وأن ينحى عنهم الجبال فيزرعون، فأتاه جبريل فقال: إن شئت أن نستأنى بهم لعلنا نجتبى منهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذى سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم قال: لا، بل أستأنى بهم. فأنزل الله الآية.

﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ دالة على صدق صالح رأى العين ﴿فظلموا بها﴾ أى فجحدوا بها ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ أى: وما نرسل المعجزات مع الرسل إلا تخويفا للمكذبين لعلهم يؤمنون.

ويتعرض السياق هنا لخارقة الإسراء والمعراج فهى لم تتخذ معجزة بل فتنة للناس.

٦٠ ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس...﴾ أى أنهم فى قبضته وتحت قدرته ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ هذه الرؤيا هى رؤيا عين وهى الإسراء ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾.

سبب نزولها: عن ابن عباس أنه قال: لما ذكر الله تعالى الزقوم فى القرآن خوف به هذا الحى من قريش فقال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذى يخوفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الزبد بالزبد، أما والله لئن أمكننا منه لنأكله أكلا. ﴿ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا﴾ أى خوفهم بالآيات، فما يفيدهم إرسال الآيات إلا الزيادة فى الكفر.

٦١ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...﴾ ولم يسجد إبليس حسدًا غافلاً عن نفخة الله فى هذا الطين.

ويتبجح إبليس ويقول:

٦٢ ﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي...﴾ لئن أخرتنى فلأستولين عليهم وأحتويهم وأملك زمامهم وأجعلهم فى قبضته يدى أصرف أمرهم...

٦٣ ﴿قال اذهب فمن تبعك منهم...﴾ حاول محاولتك اذهب مأذونا فى إغوائهم... ﴿فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا﴾ أى وافرا مكملا.

٦٤ ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك...﴾ أى داعيا لهم إلى معصية الله ﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ أى صح عليهم بالفرسان ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ بالغصب والسرقة والربا، وفى الأولاد بدعواهم بسبب غير شرعى بالزنا ﴿وعدهم﴾ قال الفراء: قل لهم: لاجنة ولا نار فاصنعوا ما بدا لكم.

٦٥ ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان...﴾ يعنى عباده المومنين ﴿وكفى بربك وكيلا﴾.

٦٦ ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر...﴾ ويخبر تعالى عن لطفه بخلقه فى تسخيره لعباده الفلك فى البحر وتسهيله لمصالح عباده ﴿إنه كان بكم رحيما﴾ من فضله عليكم ورحمته بكم.

معانى الكلمات:

فظلموا بها: فكفروا بها

أرأيتك: أخبرنى

لأحتنكن ذريته: لأستولين عليهم.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ
إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ
بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ
أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ
وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ
الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

٦٧ ﴿وإذا مسكم الضر في البحر..﴾ يعني خوف الغرق ﴿ضل من تدعون﴾ من الآلهة ﴿إلا إياه﴾ وحده ﴿فلما نجاكم إلى البر أعرضتم﴾ عن الاخلاص لله وتوحيده ﴿وكان الإنسان كفورا﴾ أي كثير الكفران لنعمة الله

٦٨ ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر..﴾ والخسف أن تنهار الأرض بالشئ ﴿أو يرسل عليكم حاصبا﴾ أي ريحا شديدة حاصبة. وهي التي ترمي بالحصى الصغار ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلا﴾ أي حافظا ونصيرا.

٦٩ ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى..﴾ أي في البحر مرة أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفا من الريح﴾ القاصف: الريح الشديد التي لها قصيف: أي صوت شديد ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ أي بسبب كفركم ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ أي ثائرا يطالبنا بما فعلنا.

٧٠ ﴿ولقد كرمنا بني آدم..﴾ كرمه الله على كثير من خلقه، وبخلقته على تلك الهيئة ﴿وحملناهم في البر﴾ على الدواب وما يصنعونه من المراكب ﴿و﴾ في ﴿البحر﴾ على السفن ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ أي لذيذ المطاعم والمشارب ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ فعلى بني آدم أن يتلقوه بالشكر، ويحذروا من كفرانه.

٧١ ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم..﴾ الإمام: هو الكتاب المنزل عليهم، فيدعى أهل التوراة بالتوارة، وأهل الإنجيل بالإنجيل، وأهل القرآن بالقرآن ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ من أولئك المدعوين ﴿فأولئك يقرءون كتابهم﴾ الذي أوتوه ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة.

٧٢ ﴿ومن كان في هذه...﴾ الدنيا ﴿أعمى﴾ فاقد البصيرة، أي: أعمى القلب ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ أعمى البصر يعاقب بعمى البصر على عمى القلب.

الدرس الخامس:
(كيد المشركين لرسول الله ﷺ)
الآيات من ٧٣/٨٨
مدة الحفظ: يومان.

هذا الدرس يقوم على المحور الرئيسي للسورة وهو شخص الرسول ﷺ وموقف القوم منه.

٧٣ ﴿وإن كادوا ليفتنونك...﴾ قاربوا أن يخدعوك.

سبب النزول: قال قتادة: ذكر لنا أن قريشًا خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه، فقالوا: إنك تأتي بشئ لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله تعالى عن ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٧٤ ﴿ولولا أن ثبتناك...﴾ على الحق وعصمناك عن موافقتهم ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾ تميل إليهم أدنى ميل ﴿شيئا قليلا﴾ لكن أدركته ﷺ العصمة فامتنع من أدنى مراتب الركون إليهم.

٧٥ ﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة...﴾ ولكن الله عصمه من هذه الفتنة، ووقاه الركون إليهم ورحمه من عاقبة هذا الركون.

معاني الكلمات:
حاصبا: ريحا شديدة
قاصفا: عاصفا شديدا تبيعا: نصيرا
تركن إليهم: تميل إليهم.

وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

وعندما عجز المشركون عن استدراج الرسول ﷺ إلى هذه الفتنة حاولوا استفزازه من الأرض -أى مكة-

٧٦ ﴿وإن كادوا ليستفزونك...﴾ قاربوا أن يزعجوك ﴿من الأرض﴾ من مكة لتخرج عنها ﴿وإذا لا يلبثون خلافك﴾ أى لا يبقون بعد إخراجك ﴿إلا﴾ ما ﴿قليلا﴾.

٧٧ ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا...﴾ أنهم إذا أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم أو قتلوه ينزل العذاب بهم ﴿ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ أى ما أجرى الله به العادة لم يتمكن أحد من تحويله ولا يقدر على تغييره.

٧٨ ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس...﴾ أي عند زوال الشمس عن كبد السماء وهى صلاة الظهر ﴿إلى غسق الليل﴾ أى عند اجتماع الليل وظلمته والمراد: صلاتا المغرب والعشاء ﴿وقرآن الفجر﴾ أى وأقم قرآن الفجر، والمراد: صلاة الصبح، وصلاة الصبح تطول فيها القراءة ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ أى تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

٧٩ ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ التهجد: الصلاة بالليل بعد النوم ﴿نافلة لك﴾ زائدة عن الفرائض ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ وهو مقام الشفاعة للناس يوم القيامة.

٨٠ ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق...﴾

سبب النزول: قال الحسن: إن كفار قريش لما أرادوا أن يوثقوا النبى ﷺ ويخرجوه من مكة أراد الله تعالى بقاء أهل مكه، وأمر نبيه أن يخرج مهاجرًا إلى المدينه فأنزله هذه الآية.

﴿واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾ أي حجة ظاهرة قاهرة تنصرنى بها.

ويعلن بهذا السلطان عن مجئ الحق:

٨١ ﴿وقل جاء الحق...﴾ ما وعد الله نبيه من ظهور وانتصار الإسلام ﴿وزهق الباطل﴾ بطل الشرك واضمحل.

٨٢ ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء...﴾ للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب والشبه والضلال ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ على ما فيه صلاح الدين والدنيا، ولما فى تلاوته من الأجر العظيم ﴿ولا يزيد﴾ القرآن ﴿الظالمين﴾ الذين وضعوا التكذيب موضع التصديق ﴿إلا خسارا﴾ أى هلاكا.

٨٣ ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان...﴾ بالنعم ﴿أعرض﴾ عن الشكر لله ﴿ونأى بجانبه﴾ يوليه ظهره، فلا يكون منه إلا التكبر ﴿وإذا مسه الشر﴾ من مرض أو فقر ﴿كان يئوسا﴾ شديد القنوط من رحمة الله.

٨٤ ﴿قل كل يعمل على شاكلته...﴾ وفى هذا التقرير تهديد خفى بعاقبة العمل والاتجاه.

وراح بعضهم يسألون الرسول ﷺ عن الروح:

٨٥ ﴿ويسألونك عن الروح...﴾ أى: عن حقيقتها وكنهها وهى الروح التى يعيش بها الإنسان، والروح غيب لا يدركها سواه -سبحانه- ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ أى: إن علمكم الذي علمكم الله قليل.

٨٦ ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك...﴾ أى محوناه من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجد له أثر ﴿ثم لا تجد لك به﴾ أى بالقرآن إذا ذهبنا به عنك وأنسيناك إياه ﴿علينا وكيلا﴾ أي لا تجد من يتوكل علينا فى ردّ شئ منه.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

الآيات من ٨٩/١١١

مدة الحفظ: يومان.

٨٧ ﴿إلا رحمة من ربك...﴾ لكن لإبقاء ذلك إلا رحمة من ربك ﴿إن فضله كان عليك كبيرا﴾ حيث جعلك رسولا، وأنزل عليك الكتاب، وصيّرك سيد ولد آدم، وأعطاك المقام المحمود، وغير ذلك مما أنعم به عليه.

٨٨ ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن...﴾ وهو المنزل من عند الله في كمال البلاغة وحسن النظم وجزالة اللفظ وعظيم ما جاء به من أحكام وغيرها ﴿لا يأتون بمثله﴾ لأن المخلوق يعجز عن مثل ما يأتي به الخالق ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ أي عونا ونصيرا.

الدرس السادس:

(القرآن وإعجازه)

٨٩ ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل...﴾ أي: بكل مثل يوجب الاعتبار من الآيات والعبر، والترغيب والترهيب، والأوامر والنواهي، وأقاصيص الأولين، والجنة والنار والقيامة ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ بل جحدوا وأنكروا كلام الله بعد قيام الحجة عليهم.

٩٠ ﴿وقالوا لن نؤمن لك...﴾ أي قال رؤساء مكة ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ أي عينا من الماء تخرج من الأرض بلا انقطاع.

٩١ ﴿أو تكون لك جنة..﴾ أي بستان تستر أشجاره أرضه ﴿فتفجر الأنهار﴾ أي تجريها بقوة ﴿خلالها﴾ أي وسطها ﴿تفجيرا﴾ كثيرا.

٩٢ ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا...﴾ أي قطعا ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلا﴾ أي معاينة حتى نراهم بأعيننا مقابلين لنا.

٩٣ ﴿أو يكون لك بيت من زخرف...﴾ أي من ذهب ﴿أو ترقى في السماء﴾ أي تصعد معارجها ﴿ولن نؤمن لرقيك﴾ أي لن نصدق ﴿حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه﴾ أي حتى تنزل علينا من السماء كتابا يصدقك ويدل على نبوتك ﴿قل سبحان ربي﴾ أي تنزيها لله عن أن يعجز عن شئ ﴿هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ ولست ملكا أصعد السماء ﴿رسولا﴾ مأمور من الله سبحانه بإبلاغكم.

٩٤ ﴿إلا أن قالوا...﴾ أي: ما منعهم إلا قولهم ﴿أبعث الله بشرا رسولا﴾ وهو إنكار أن يكون الرسول من جنس البشر.

٩٥ ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين...﴾ أي: لو وجد في الأرض بدل من فيها من البشر ملائكة يمشون على الأقدام كما يمشي الإنس مطمئنين مستقرين فيها ﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا﴾ حتى يكون من جنسهم.

٩٦ ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم...﴾ على إبلاغي إليكم ما أمرني به من أمور الرسالة، وقيل المراد: أن إظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله له على الصدق ﴿إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ أي عالما بجميع أحوالهم، محيطا بظواهرها وبواطنها، وهو قول يحمل رائحة التهديد.

معاني الكلمات:

صَرَّفْنا: رددنا بأساليب مختلفة

فَأَبى: فلم يرض

كسفا: قطعا

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

وعاقبة التهديد فيرسمها في مشهد من مشاهد القيامة مخيف:

٩٧ - ﴿ومن يهد الله فهو المهتد...﴾ أى حق ﴿ومن يضلل﴾ أى يرد إضلاله ﴿فلن تجد لهم أولياء﴾ ينصرونهم ﴿من دونه﴾ سبحانه، ويهتدونهم إلى الحق الذى أضلهم الله عنه - ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾ عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم ﴿عميا وبكما وصما﴾ يعشون فى أقبح صورة ﴿مأواهم جهنم﴾ أى المكان الذى يأوون إليه ﴿كلما خبت زدناهم سعيرا﴾ أى كلما سكن لهبها تزاد ما به يعلوا لهبها ويسعر.

٩٨ ﴿ذلك...﴾ أى العذاب ﴿جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا﴾ أى بسبب كفرهم به ﴿وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا﴾ ويجيئهم الرد على سؤالهم:

٩٩ ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر...﴾ أى: من هو قادر على خلق هذا، فهو قادر على إعادة ما هو أدون منه وأقدر ﴿وجعل لهم أجلا لا ريب فيه﴾ وهو يوم القيامة ﴿فأبى الظالمون إلا كفورا﴾ أى: أبى المشركون إلا جحودا.

١٠٠ - ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى﴾ لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شحا وبخلا ﴿وكان الإنسان قتورا﴾ أى بخيلا.

وعلى أية حال فإن كثرة الخوارق لا تستتبع الإيمان وها هو ذا موسى:

١٠١ ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات...﴾ والآيات التسع هى: الطوفان، والجراد، والقمل والضفادع، والدم والعصا، واليد، والسنين، ونقص الثمرات، وقيل هى الوصايا التسع التى فى التوراة. ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ سؤال استشهاد لمزيد من الطمأنينة والإيقان، والمسئولون مؤمنو بنى إسرائيل كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا﴾ والمسحور: الذى سحر فخولط عقله.

١٠٢ ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء...﴾ يعنى: الآيات التى أظهرها ﴿إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ أى دلالات يستدل بها على قدرته ووحدانيته ﴿وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ الظن هنا بمعنى اليقين والثبور الهلاك والخسران.

١٠٣ ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض...﴾ أى: أراد فرعون أن يخرج بنى إسرائيل وموسى ويزعجهم من أرض مصر بإبعادهم عنها ﴿فأغرقناه ومن معه جميعا﴾ يعنى جيشه الذى لحق بموسى.

١٠٤ ﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض...﴾ أى أرض بيت المقدس ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أى الدار الآخرة التى ذكرت فى أول السورة ﴿جئنا بكم لفيفا﴾ جئنا بكم من قبوركم مختلطين من كل موضع، قد احتلط المؤمن بالكافر، وقيل: جئنا بكم من قبائل وبلدان شتى إلى الأرض المقدسة.

معانى الكلمات:

صرفنا: رددنا بأساليب مختلفة.

فأبى: فلم يرض

ورفاتا: أجزاء مفتتة مثبورا: هالكا

يستفزهم: يستخفهم ويزعجهم

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ﴿١﴾
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

١٠٥ ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل...﴾ أى ما أنزلنا القرآن إلا بالحق، وقد نزل وفيه الحق ﴿وما أرسلناك إلا مبشرا﴾ لمن أطاع بالجنة ﴿ونذيرا﴾ مخوفا لمن عصى بالنار.

١٠٦ ﴿وقرآنا فرقناه...﴾ أى أنزلناه شيئا بعد شئ، لا جملة واحدة ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ فإن ذلك أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ ﴿ونزلناه تنزيلا﴾ أى أنزلناه منجما مفرقا لما فى ذلك من المصلحة.

وهنا يأمر الرسول ﷺ أن يجبه القوم بهذا الحق. ويدع لهم أن يختاروا طريقهم:

١٠٧/١ ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا...﴾ لا يزيده ذلك ولا ينقصه ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ أى: إن العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة قبل إنزال القرآن، وعرفوا حقيقة الوحى، وأمارات النبوة ﴿إذا يتلى عليهم﴾ أى: القرآن ﴿يخرون للأذقان سجدا﴾ لأن الحق لا يخفى عليهم ﴿ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ أى: قد كان وعده بنصر المؤمنين آتيا لا شك فيه.

١٠٩ ﴿ويخرون للأذقان يبكون...﴾ كرر ذلك الخرور للأذقان لتأثير مواعظ القرآن فى قلوبهم ومزيد من خشوعهم ﴿ويزيدهم﴾ القرآن بسماعهم له ﴿خشوعا﴾ أى لين قلب ورطوبة عين.

وهنا يدعهم يدعون الله بما شاءوا من الأسماء:

١١٠ ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا...﴾ المعنى: أى اسم من أسمائه الحسنى دعوتموه به فقد أصبتم ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ ومعنى حسنى الأسماء استقلالها بنعوت الجلال والإكرام ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ أى بقراءة صلاتك ﴿وابتغ بين ذلك﴾ أى بين الجهر والمخافتة ﴿سبيلا﴾ أى طريقا متوسطا بين الأمرين.

وتختم السورة كما بدأت بحمد الله:

١١١ ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا...﴾ فيلخص هذا الختام محور السورة التى دارت عليه، والذى بدأت ثم ختمت به.

سورة الكهف

الدرس الأول:

(قصة أصحاب الكهف)

الآيات من ١/٢٧

مدة الحفظ: ثلاثة أيام.

يبدأ هذا الدرس بتبشير المؤمنين وإنذار الكافرين:

١ ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده...﴾ محمد ﷺ علّم الله عباده أن يحمدوه على إفاضة نعمه عليهم، ومنها إنزال ﴿الكتاب﴾ وهو القرآن نعمة عليهم أنزله على رسول الله ﷺ ﴿ولم يجعل له عوجا﴾ ليس فيه أى اختلال فى اللفظ أو المعنى ولم يجعل فيه اختلافا.

٢ ﴿قيما...﴾ مستقيما، أو القيم على ما قبله من الكتب السماوية مهيمنا عليها ﴿لينذر...﴾ الكافرين ﴿بأسا شديدا﴾ والبأس: العذاب ﴿من لدنه﴾ نازلا من عنده ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا﴾ وهو الجنة حسن كل ما فيها.

٣ ﴿ماكثين فيه أبدا...﴾ أى فى ذلك الأجر مكثا دائما لا انقطاع له.

٤ ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا...﴾ وهم اليهود والنصارى وبعض كفار قريش القائلون بأن الملائكة بنات الله. ونسبة الولد إلى الله سبحانه أقبح أنواع الكفر.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى
ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

٥ ﴿ما لهم به من علم ولا لآبائهم...﴾ أى بالولد، أو اتخاذ الله إياه ولا عند آبائهم أيضا دليل صحيح على أن الله اتخذ ولدًا ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ لاستعظام اجترائهم على التفوه بها ﴿إن يقولون إلا كذبا﴾ لا مجال للصدق فيه بحال.

وهنا خطاب للرسول ﷺ الذى كان يحزنه أن يكذب قومه بالقرآن ويعرضوا عن الهدى:

٦ ﴿فلعلك باخع نفسك...﴾ أى مهلكها ﴿على آثارهم﴾ من بعد إعراضهم ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ أى: القرآن ﴿أسفا﴾ أى: غيظا أو حزنا على قولهم أى: فهون عليك الأمر يا محمد.

٧ ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها...﴾ مما يصلح أن يكون زينة لها من الحيوانات والنبات والجماد ﴿لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾ لنمنحهم أهذا أحسن عملاً أم ذاك؟.

٨ ﴿وإنا لجاعلون ما عليها...﴾ من هذه الزينة عند تناهي عمر الدنيا ﴿صعيدا﴾ ترابا ﴿جرزا﴾ لا زرع ولا زينة فيه كالزرع الذى أكله الجراد.

ثم تجئ قصة أصحاب الكهف، فتعرض نموذجًا للإيمان فى النفوس المؤمنة:

٩ ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم...﴾ أى: بل أظننت يا محمد أنهم كانوا عجبًا من آياتنا فقط؟ لاتحسب ذلك، فإن آياتنا كلها عجب كذلك، وفوق ذلك. والرقيم اسم الوادى أو القرية أو اللوح الذى كتبت أسماؤهم فيه.

١٠ ﴿إذ أوى الفتية..﴾ هم أصحاب الكهف ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ وهى المغفرة فى الآخرة والأمن من الأعداء، والرزق فى الدنيا ﴿وهيئ لنا من أمرنا رشدا﴾ وأصلح لنا الأمر الذى نحن عليه وهو المفارقة للكفار.

١١ ﴿فضربنا على آذانهم...﴾ سددنا آذانهم بالنوم الغالب عن سماع الأصوات ﴿سنين عددا﴾ أى كثيرة.

١٢ ﴿ثم بعثناهم...﴾ أى: أيقظناهم من تلك النومة ﴿لنعلم أى الحزبين﴾ هم الفريقان من المؤمنين والكافرين المختلفين فى مدة لبثهم ﴿أحصى﴾ أضبط ﴿لما لبثوا﴾ لمدة بقائهم نيام فى الكهف.

١٣ ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق...﴾ أى نحن نخبرك بخبرهم بالحق لا كالأخبار المشوشة غير المنضبطة ﴿إنهم فتية﴾ أى أحداث شبان ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ فردناهم علما بالحق مما كان فيه أهل زمنهم يختلفون، بالتثبيت والتوفيق.

هذا هو المشهد الأول من مشاهد القصة ويكمل أوصافهم:

١٤ ﴿وربطنا على قلوبهم...﴾ أى قويناهم بالصبر على هجر الأهل والأوطان ﴿إذ قاموا﴾ اجتمعوا وراء المدينة ليتواثقوا على الصبر على دينهم ﴿فقالوا ربنا رب السموات والأرض﴾ قيل: كان لهم ملك جبار يقال له دقلديانوس، وكان يدعو الناس إلى عبادة الطواغيت، فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا، فقالوا ربنا رب السموات والأرض ﴿لن ندعو من دونه إلها﴾ معبودا آخر غير الله، لا اشتراكا ولا استقلالا ﴿لقد قلنا إذا شططا﴾ الشطط الغلو ومجاوزة الحد فى البعد عن الحق.

١٥ ﴿لولا يأتون عليهم بسلطان بين..﴾ أى هلا يأتون على ألوهيتهم بحجة ظاهرة للتمسك بها ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ فزعم أن له شريكا فى العبادة، أى: لا أحد أظلم منه.

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا
﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ
مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن
يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم
بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ
لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

١٦ ﴿وإذ اعتزلتموهم...﴾ أى: فارقتموهم وتنحيتم عنهم جانبا: أى عن العابدين للأصنام ﴿وما يعبدون إلا الله﴾ أى: واعتزلتم عبادة أصنامهم ﴿فأووا إلى الكهف﴾ أى: صيروا إليه واجعلوه مأواكم ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ فيبسط ويوسع ﴿ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾ يسهل ويسر لكم من أمركم الذى أنتم بصدده.

ويدل الستار على هذا المشهد. ليرفع على مشهد آخر والفتية فى الكهف وقد ضرب عليهم النعاس:

١٧ ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور...﴾ تميل وتنحنى ﴿عن كهفهم ذات اليمين﴾ ناحية اليمين بالنسبة لباب الكهف ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ تعدل عنهم وتتركهم ﴿ذات الشمال﴾ شمال الكهف ﴿وهم فى فجوة منه﴾ فى مكان منفتح انفتاحا واسعا، قيل: المعنى أنهم كانوا فى ظل جميع نهارهم، وقيل: إن باب ذلك الكهف كان مفتوحا إلى جانب الشمال فإذا طلعت الشمس كانت عن يمين الكهف، وإذا غربت كانت عن يساره ﴿ذلك من آيات الله﴾ فى حفظ أبدانهم من التلف تلك المدة المتطاولة.

١٨ ﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود﴾ أى: نيام، قيل أن عيونهم كانت مفتحة، وهم ينام، وقيل: لكثرة تقلبهم ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ لئلا تأكل الأرض أجسادهم ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ هو فناء الباب، وقيل العتبة ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا﴾ هربا ﴿ولملئت منهم رعبا﴾ أى خوفا يملأ الصدور، قيل: سبب الرعب الهيبة التى ألبسهم الله إياها وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم. وفجأة تدب فيهم الحياة. فلننظر ولنسمع:

١٩ ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم...﴾ فى مدة اللبث ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ أى فى النوم، قالوا ذلك لأنهم رأوا أنفسهم على غير ما يعهدونه فى العادة ﴿قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ قال المفسرون: دخلوا الكهف غدوة، وبعثهم الله سبحانه آخر النهار، فلذلك قالوا يوما ﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ أى: أنكم لا تعلمون مدة لبثكم، وإنما يعلمها الله سبحانه ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾ ولديهم نقود فضيه، والمدينة قيل: هى إفسوس مدينتهم التى كانوا فيها، ويقال لها اليوم طرسوس ﴿فلينظر أيها أزكى طعاما﴾ اى ينظر أحلها أطيب طعاما، وأحل مكسبا ﴿وليتلطف﴾ أي يدقق النظر حتى لا يعرف أو لايغبن ﴿ولا يشعرن بكم أحدا﴾ لا يدع أحدا يعلم بمكانكم.

٢٠ ﴿إنهم إن يظهروا عليكم...﴾ أى يطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أو يعيدوكم فى ملتهم﴾ التى كنتم عليها قبل أن يهديكم الله ﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾ إن رجعتم إلى دينهم، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

معانى الكلمات:

مِرْفَقًا: ما تنتفعون به فى عيشكم.

تَقْرِضُهُمْ: تعدل عنهم

تَزَاوَرُ: تميل وتعدل.

بِوَرِقِكُمْ: بدراهمكم المضروبة

يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ: يطلعوا عليكم أو يغلبوا.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

وهنا يعرض السياق المشهد الأخير، مشهد وفاتهم، والناس خارج الكهف يتنازعون فى شأنهم:

٢١ ﴿وكذلك أعثرنا عليهم...﴾ أى: أطلعنا الناس عليهم ﴿ليعلموا أن وعد الله﴾ بالبعث ﴿حق﴾ قيل: وسبب الإعثار عليهم أن ذلك الرجل الذى بعثوه بالورق -وكانت من ضرب دقلديانوس- إلى السوق فلما أطلع عليها أهل السوق اتهموه بأنه وجد كنزا، فذهبوا به إلى الملك وكانت النصرانية قد ظهرت فى تلك البلاد وآمن بها ملوكها ثم قص عليه القصة، فركب الملك، وركب أصحابه معه حتى وصلوا إلى الكهف ﴿وأن الساعة لا ريب فيها﴾ أى: وليعلموا أن القيامة لا شك فى حصولها ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ وقع التنازع والاختلاف بين أولئك الذين أعثرهم بالله فى أمر البعث ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانا﴾ وذلك أن الملك وأصحابه لما وقفوا عليهم وهم أحياء أماتهم الله الفتية ﴿ربهم أعلم بهم﴾ من هؤلاء المتنازعين فيهم ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾ ذكر اتخاذ المسجد يشعر بأن هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم، هم المسلمون.

٢٢ ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم...﴾ هؤلاء القائلون بأنهم ثلاثة أو خمسة أو سبعة هم المتنازعون فى عددهم فى زمن رسول الله ﷺ من أهل الكتاب والمسلمين ﴿ويقولون﴾ أى يقول بعض آخر ﴿خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب﴾ والرجم بالغيب: هو القول بالظن والحدس من غير يقين.

﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ كان قول هذه الفرقة أقرب إلى الصواب ﴿قل ربى أعلم بعدتهم﴾ منكم أيها المختلفون ﴿ما يعلمهم﴾ أى: لا يعلم ذواتهم فضلاً عن عددهم ﴿إلا قليل﴾ من الناس ﴿فلا تمار فيهم﴾ أى لا تجادل ﴿إلا مراء ظاهرا﴾ أى غير متعمق فيه وهو أن يقص عليهم ما أوحى الله إليه فحسب ﴿ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾ فيما قص الله عليك فى ذلك ما يغنيك عن سؤال من لا علم له.

٢٣/ ٢٤ ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا (٢٣) إلا أن يشاء الله...﴾ على الإنسان أن يعزم ويستعين بمشيئة الله على ما يعزم ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ إذا نسيت هذا التوجيه والاتجاه فاذكر ربك وارجع إليه ﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا﴾ عسى أن يعطينى ربى من هذه الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب فى الرشد وأدل من قصة أصحاب الكهف.

٢٥ ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا﴾ فى كونهم نياما.

٢٦ ﴿قل الله أعلم بما لبثوا...﴾ قال الزجاج أن المراد ٣٠٠ سنة شمسية أو ٣٠٩ قمرية ﴿له غيب السموات والأرض﴾ أى ما خفى فيهما وغاب من أحوالهما، ليس لغيره من ذلك شئ ﴿أبصر به وأسمع﴾ ما أبصره وما أسمعه! سبحانه فلا جدال بعد هذا ولا مراء.

ويعقب على القصة بإعلان الوحدانية:

٢٧ ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك...﴾ أمره ربه أن يقرأ القرآن ويواظب على تلاوته... وهكذا تنتهى القصة.

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ
الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن
شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ
وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَٱضْرِبْ
لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ
تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

الدرس الثانى:
(قصة الجنتين)
الآيات من ٢٨/٤٦
مدة الحفظ: ثلاثة أيام

٢٨ ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم... ﴾ أمره ربه سبحانه أن يحبس نفسه معهم بالاستمرار على الدعاء فى جميع الأوقات.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ﴾
عن سلمان الفارسى، قال: جاء المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله فقالوا: يارسول الله إنك لو جلست فى صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم -يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين. فأنزل الله تعالى هذه الآية حتى بلغ ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارا ﴾ يتهددهم بالنار، وقام رسول الله ﷺ يبحث عنهم حتى وجدهم فى آخر المسجد يذكرون الله تعالى قال: الحمد لله الذى لم يُمتنى حتى أمرنى ان أصبر نفسى مع رجال من أمتى، معكم المحيا ومعكم الممات.

وسبب نزول قوله تعالى: ﴿ ولا تُطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ عن ابن عباس قال: نزلت فى أمية بن خلف الجمحى، وذلك أنه دعا النبى ﷺ إلى أمر كرهه من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكه، فأنزل الله تعالى: ﴿ ولا تُطع ﴾

٢٩ ﴿ وقل... ﴾ لأولئك الغافلين ﴿ الحق من ربكم ﴾ لا من جهة غيره، حتى يمكن فيه التبديل والتغيير، يعنى لم آتكم به من الله ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ فإن من كفر لا يضل ولا يظلم إلا نفسه ﴿ إنا أعتدنا للظالمين ﴾ الذين اختاروا الكفر بالله والجحد له والإنكار لأنبيائه ﴿ نارا ﴾ عظيمة ﴿ أحاط بهم سرادقها ﴾ السرادق: البيت المصنوع من القماش، والسرادق يحيط بالظالمين، فلا سبيل للهرب، فإن استغاثوا من الحريق والظمأ اغيثوا.. اغيثوا بماء كدردى الزيت المغلى أو كالصديد الساخن، يشوى الوجوه ﴿ بئس الشراب ﴾ الذى يغاث به الملهوفون من الحريق. ﴿ وساءت ﴾ النار ﴿ مرتفقا ﴾ أى: نزلا يتخذونه للراحة.

وبينما هؤلاء كذلك إذا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات عدن:
٣٠/ ٣١ ﴿ إنَّ الَّذين آمنُوا وعملُوا الصَّالحَات... ﴾ هؤلاء فى جنات عدن، للإقامة. تجرى من تحتها الأنهار بالرى وبهجة المنظر واعتدال النسيم. وهم هنالك للارتفاق حقًا ﴿ مُتَّكِئين فيها على الأرائك ﴾ وهم رافلون فى ألوان من الحرير من سندس ناعم خفيف ومن استبرق مخمل كثيف. تزيد عليها أساور من ذهب للزينة والمتاع ﴿ نعم الثواب وحسنت مرتفقا ﴾.

ثم تجئ قصة الرجلين والجنتين:
٣٢/ ٣٣ ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين... ﴾ فهما جنتان مسمرتان من الكروم، محفوفتان بسياج من النخيل، تتوسطهما الزروع ويتفجر بينهما نهر ﴿ كلتا الجنتين آتت أكلها ﴾ وأكلهما: هو ثمرهما ولم تنقص من أكلها شيئا وأجرينا وشققنا وسط الجنتين نهرًا ليسقيهما دائما من غير انقطاع.

٣٤ ﴿ وكان له ثمر... ﴾ أى لصاحب الجنتين من سائر الثمار، وقيل الثمر هنا المال من الذهب والفضة، ويتعالى على صاحبه الفقير ويقول له ﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

ثم يخطو بصاحبه إلى إحدى جنتيه:

٣٥/٣٧ ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه...﴾ إنه الغرور يخيل لذوى الجاه والسلطان واتساع والثراء، أنهم سيحتفظون بكل ما لهم من قيم الدنيا حتى فى الملأ الأعلى. فلقد قال ما أظن أن تبنى هذه الجنة التى تشاهدها، وتطاول حين أنكر البعث وزعم أنه إن يُرد إلى ربه فرضا وتقديرا كما زعم صاحبه ليكونن له يومئذ خير من هذه الجنة. فأما صاحبه الفقير الذى لا مال له ولا نفر، ولاجنة عنده ولا ثمر... فإنه معتز بما هو أبقى وأعلى ويرجو عند ربه ما هو خير من الجنة والثمار ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب﴾ حيث خلق أباك آدم منه، وهو أصلك ﴿ثم من نطفة﴾ وهى منى ﴿ثم سواك رجلا﴾ صيرك إنسانا ذكرا.

٣٨ ﴿لكنا هو الله ربى...﴾ لكن أنا هو الله ربى ﴿ولا أشرك بربى أحدا﴾ أى: كما فعلت.

٣٩ ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله...﴾ أن ما فيها وهى بمشيئة الله ﴿لا قوة إلا بالله﴾ فما فيها هو بمعونة الله له، لا بقوته وقدرته.

٤٠ ﴿فعسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك...﴾ فى الدنيا أو فى الآخرة ﴿ويرسل عليها حسبانا من السماء﴾ وهى الصواعق ﴿فتصبح صعيدا زلقا﴾ أرضا لا نبات فيها تزل فيها الأقدام لملاستها.

٤١ ﴿أو يصبح ماؤها غورا...﴾ غائرا فى الأرض ﴿فلن تستطيع له طلبا﴾ لا تقدر عليه بحيلة من الحيل

وفجأة ينقلنا السياق إلى هيئة الندم والاستغفار:

٤٢ ﴿وأحيط بثمره...﴾ عبارة عن إهلاكه وإفنائه ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ أى يقلبهما ظهرا لبطن ﴿على ما أنفق فيها﴾ أى: فى عمارتها ﴿وهى خاوية على عروشها﴾ ساقطة على دعائمها ﴿ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا﴾ ويندم ويستعيذ من الشرك بعد فوات الأوان.

ويتفرد الله بالولاية والقدرة:

٤٣ ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله...﴾ ما نفعه النفر الذين افتخر بهم فيما سبق ﴿وما كان منتصرا﴾ أى ممتنعا بقوته عن إهلاك الله لجنته، وانتقامه منه.

٤٤ ﴿هنالك الولاية لله الحق...﴾ أى: فى ذلك المقام: النصرة لله وحده لا يقدر عليها غيره ﴿هو خير ثوابا﴾ لأوليائه فى الدنيا والآخرة ﴿وخير عقبا﴾ وخير عاقبة وختاما.

ويسدل الستار على مشهد الجنة الخاوية على عروشها. ثم يضرب مثلاً للحياة الدنيا كلها:

٤٥ ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا...﴾ أى اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا فى حسنها ونضارتها وسرعة زوالها ويشبه النبات أنه اختلط بعضه ببعض حين نزل عليه الماء، أى: نبت بسبب الماء وكثر حتى تم وانبع ﴿فأصبح﴾ النبات ﴿هشيما﴾ وهو من النبات ما تكسر وتفتت ﴿تذروه الرياح﴾ تفرقه وتنشر أجزاء النبات نواحى الأرض، وتعود الأرض كما كانت، أى: وهكذا شأن الحياة الدنيا لا بقاء له، وشأنها إلى زوال ﴿وكان الله على كل شىء مقتدرا﴾ يحييه ويفنيه بقدرته لا يعجز عن شئ.

معانى الكلمات:

غورا: غائرا ذاهبًا فى الأرض

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۖ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ۖ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ۖ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَٰقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

ويقرر السياق بميزان العقيدة قيم الحياة التي يتعبدها الناس في الأرض، والقيم الباقية التي تستحق الاهتمام:

٤٦ ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا...﴾ والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات إنهما زينة ولكنهما ليسا قيمة، فإن الباقيات الصالحات خير ثوابا وخير أملا، أفضل مما يؤمله أهل المال والبنين. أخرج أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: [استكثروا من الباقيات الصالحات. قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله]

الدرس الثالث: (مشاهد القيامة)

الآيات من ٤٧/٥٩

مدة الحفظ: يومان.

٤٧ ﴿ويوم نسير الجبال...﴾ تسيير الجبال: إزالتها من أماكنها، وتسييرها كما تسير السحاب، وذلك يوم القيامة ﴿وترى الأرض بارزة﴾ بروزها ظهورها وزوال ما يسترها من الجبال والشجر والبنيان ﴿وحشرناهم﴾ أي: الخلائق بعد بعثهم، أي: جمعناهم إلى الموقف من كل مكان ﴿فلم نغادر منهم أحدا﴾ فلم نترك منهم أحدا إلا حشرناه إلى هناك.

٤٨ ﴿وعرضوا على ربك صفا...﴾ لم يتخلف أحد.

﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ حفاة عراة ﴿بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا﴾ أي: لن تبعثوا، وأن لن نجعل لكم موعدا لمجازيكم بأعمالكم.

٤٩ ﴿ووضع الكتاب...﴾ صحائف الأعمال. يوضع صحيفة كل واحد في يده: السعيد في يمينه، والشقي في شماله ﴿فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ أي: خائفين وجلين لما يتعقب ذلك من الافتضاح في ذلك الجمع ﴿ويقولون يا ويلتنا﴾ يدعون على أنفسهم بالهلاك ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ وهذا للذين فعلوا الكبائر ولم يتوبوا منها ﴿ووجدوا ما عملوا﴾ في الدنيا من المعاصي ﴿حاضرا﴾ مكتوبا مثبتا ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ لا يعاقب أحدا من عباده بغير ذنب ولا ينقص فاعل الطاعة من أجره الذي يستحقه.

٥٠ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...﴾ وهذه الإشارة إلى تلك القصة القديمة تجئ هنا للتعجيب من أبناء آدم الذين يتخذون ذرية إبليس أولياء من دون الله بعد ذلك العداء القديم.

فالله لم يشهدهم خلق السموات والأرض:

٥١ ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض..﴾ ما كانوا شركاء في تدبير العالم بدليل أني ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ﴿ولا خلق أنفسهم﴾ بل هم كسائر الخلق ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ أي: وما كنت متخذ الشياطين أو الكافرين أعوانا.

٥٢ ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم...﴾ أنهم شركاء لي ينفعونكم ويشفعون لكم ﴿وجعلنا بينهم موبقا﴾ وهو واد عميق فرق الله به تعالى بينهم: والموبق: المهلك.

٥٣ ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها...﴾ أي: علموا وتيقنوا أنهم سيخالطونهم بالوقع فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ أي: معدلا يعدلون إليه، أو ملجأ يلجأون إليه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٥٤ ﴿ولقد صرفنا﴾ كررنا ورددنا ﴿في هذا القرآن للناس﴾ أى لأجلهم، ولرعاية مصلحتهم ومنفعتهم ﴿من كل مثل﴾ من الأمثال المذكورة في هذه السورة ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ أى: أكثر الأشياء التى يتأتى منها الجدال جدلاً.

٥٥ ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين...﴾ أى العادة التى لازمت أولئك الأقوام، من أنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون إلا عند نزول عذاب الدنيا المستأصل لهم.

٥٦ ﴿وما نرسل المرسلين...﴾ من رسلنا إلى الأمم ﴿إلا مبشرين﴾ للمؤمنين ﴿ومنذرين﴾ للكافرين ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ أى: ليزيلوا بالجدال بالباطل الحق ويبطلوه بقولهم للرسل -ما أنتم إلا بشر مثلنا- ونحو ذلك ﴿واتخذوا آياتي﴾ أى القرآن ﴿وما أنذروا﴾ به من الوعيد والتهديد ﴿هزوا﴾ أى لعبا وباطلا.

٥٧ ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها﴾ ولم يتدبرها حق التدبر، ويتفكر فيها حق التفكر ﴿ونسي ما قدمت يداه﴾ من الكفر والمعاصى، فلم يتب عنها ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ أى: أغطية تحول بين قلوبهم وبين وصول الفهم إليها ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ ثقلا يمنع من استماعه ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا﴾ لأن الله قد طبع على قلوبهم بسبب كفرهم ومعاصيهم.

٥٨ ﴿وربك الغفور ذو الرحمة...﴾ أى كثير المغفرة، وصاحب الرحمة التى وسعت كل شئ ﴿لو يؤاخذهم بما كسبوا﴾ من المعاصى التى من جملتها الكفر والمجادلة والإعراض ﴿لعجل لهم العذاب﴾ لا ستحقاقهم لذلك ﴿بل لهم موعد﴾ أى: أجل مقدر لعذابهم ﴿لن يجدوا من دونه موئلا﴾ أى ملجأ يلجأون إليه.

٥٩ ﴿وتلك القرى...﴾ أى قرى عاد وثمود وأمثالها ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾ بالكفر والمعاصى ﴿وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾ أى: وقتا معينا.

الدرس الرابع:

(موسى مع العبد الصالح)

الآيات من ٦٠/٨٢

مدة الحفظ: يومان.

هذه الحلقة من سيرة موسى -عليه السلام- لا تذكر فى القرآن كله إلا فى هذا الموضع:

٦٠ ﴿وإذ قال موسى...﴾ هو موسى بن عمران النبى المرسل إلى فرعون ﴿لفتاه﴾ هو يوشع بن نون كان ملازماً لموسى يأخذ عنه العلم ويخدمه ﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ أى ملتقاهما، وقيل المراد بالبحرين: بحر الأردن وبحر القلزم (أى ملتقى خليج السويس بخليج العقبة) وقيل: بجمع البحرين عند طنجه ﴿أو أمضي حقبا﴾ أى: أسير زمانا طويلاً، روى أنه سئل موسى: من أعلم الناس؟ فقال: أنا، فأوحى الله إليه: إن أعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين.

٦١ ﴿فلما بلغا...﴾ أى موسى وفتاه ﴿مجمع بينهما﴾ أى بين البحرين، وقيل هما: موسى والخضر، أى: وصلا الموضع الذى فيه اجتماع شملهما ﴿نسيا حوتهما﴾ قال المفسرون: إنهما تزودا حوتا مملحًا فى زنبيل، وكان قد جعل الله فقدانه أمارة لهما على وجدان المطلوب ﴿فاتخذ سبيله في البحر سربا﴾ أحيا الله الحوت، حتى وثب ونزل فى البحر.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۖ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

٦٢ ﴿فلمّا جاوزا...﴾ مجمع البحرين الذى جعل موعدًا للملاقاة ﴿قال﴾ موسى ﴿لفتاه آتنا غداءنا﴾ وأراد موسى أن يأتيه بالحوت الذى حملاه معهما ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ أى تعبا وإعياء.

٦٣ ﴿قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة...﴾ وتلك الصخرة كانت عند مجمع البحرين ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ بما يقع منه من الوسوسة ﴿أن أذكره﴾ أى: أن أخبرك بخبر الحوت العجيب ﴿واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾ والأرجح أن الحوت كان مشويا، وأن إحياءه واتخاذه سبيله فى البحر سربًا كان آية من آيات الله لموسى، يعرف بها موعده. وأدرك موسى أنه جاوز الموعد الذى حدده ربه له للقاء عبده الصالح:

٦٤ ﴿قال ذلك ما كنا نبغ...﴾ أى ذلك الموضع الذى فقدنا فيه الحوت هو الذى كنا نطلبه ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾ أى: رجعا على الطريق التى جاءا منها.

٦٥ ﴿فوجدا عبدا من عبادنا...﴾ هو الخضر، وعلى ذلك دلت الأحاديث الصحيحة ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ قيل: الرحمة هى النبوة، وقيل: النعمة التى أنعم الله بها عليه ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ من علم الغيب الذى استأثر به سبحانه وتعالى، ويبدو أن ذلك اللقاء كان سر موسى مع ربه، فلم يطلع عليه فتاه حتى لقياه.

٦٦ ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ بهذا الأدب يطلب العلم من العبد الصالح العالم.

٦٧/٦٨ ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمى.

ويعزم موسى على الصبر والطاعة، ويستعين بالله ويقدم مشيئته:

٦٩ ﴿قال ستجدني إن شاء الله صابرا...﴾ وطترفًا وملتزفًا طاعتك فيزيد الرجل توكيدًا وبيانًا ويذكر له شروط صحبته:

٧٠ ﴿قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء...﴾ مما تشاهده من إفعالى المخالفة ﴿حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ ويرضى موسى... وإذا نحن أمام المشهد الأول لهما:

٧١ ﴿فانطلقا...﴾ فمرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهما فحملوهما ﴿حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾ قيل خرق جدار السفينة ليعيبها ولم يجعل الخرق مما يلى الماء، لئلا يتسارع الغرق إلى أهلها ﴿قال﴾ موسى للخضر ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ فأنكر عليه ما صنعه بالسفينة ﴿لقد جئت شيئا إمرا﴾ أى لقد أتيت أمرًا عظيمًا.

وفى صبر ولطف يذكره العبد الصالح بما قاله له:

٧٢ ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ ويعتذر موسى بنسيانه ويطلب قبول عذره:

٧٣ ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا﴾ وعاملنى باليسر لا بالعسر، ويقبل الرجل اعتذاره، فنجدنا أمام المشهد الثانى:

٧٤ ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله...﴾ ... وهى فظيعة لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرغم من تذكره وعده ﴿قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس﴾ نفس زكية (بريئة) وبغير قتل نفس محرمة حتى يكون قتل هذا قصاصا ﴿لقد جئت شيئا نكرا﴾ أى فظيعًا منكرا.

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا
﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ
عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

ومرة أخرى يرده العبد الصالح إلى شرطه الذى شرط :

٧٥ ﴿ قال... ﴾ الخضر ﴿ ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ﴾ زاد هنا لفظ لك، لأن سبب العتاب أكثر، وموجبه أقوى لتكرر المخالفة.

ويعود موسى ويجد نفسه أنه خالف وعده مرتين فيندفع ويقطع على نفسه الطريق، ويجعلها آخر فرصة أمامه:

٧٦ ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ إن سألتك عن شيء بعدها ﴾ أي بعد هذه المرة ﴿ فلا تصاحبني ﴾ أى: لا تجعلني صاحبا لك ﴿ قد بلغت من لدني عذرا ﴾ وهذا كلام نادم شديد الندم.

٧٧ ﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية... ﴾ قيل: هي أيلة ﴿ استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ﴾ وهو حق واجب عليهم من ضيافتهما ﴿ فوجدا فيها ﴾ أى: فى القرية ﴿ جدارا يريد أن ينقض ﴾ أى: إن هيئة السقوط قد ظهرت فيه ﴿ فأقامه ﴾ أى: فسواه ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجرا ﴾ على إقامته وإصلاحه.

ويشعر موسى بالتناقض فى الموقف، فهما جائعان وهما فى قرية أهلها بخلاء فيقيم لهما الجدار بلا مقابل!!

٧٨ ﴿ قال... ﴾ الخضر ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾ أى: هذا الكلام والإنكار منك على تركى آخذ الأجر، هو المفرق بيننا ﴿ سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ﴾ وهى الأفعال التى أنكرها موسى.

٧٩ ﴿ أما السفينة... ﴾ يعنى: التى خرقها ﴿ فكانت لمساكين ﴾ لضعفاء لا يقدرون على دفع من أراد ظلمهم ﴿ يعملون في البحر ﴾ ولم يكن لهم مال غير تلك السفينة ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ بنزع ما نزعته منها ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ يعني أمامهم، وقيل: أراد خلفهم ﴿ يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ أى: كل سفينة صاحة لا معيبة.

٨٠ ﴿ وأما الغلام... ﴾ يعنى الذى قتله ﴿ فكان أبواه مؤمنين ﴾ أى: ولم يكن هو كذلك ﴿ فخشينا أن يرهقهما ﴾ وقيل إن الخضر علم بإعلان الله له أنه طبع يوم طبع كافرا، وسوف يتسبب عن كفره إضلال أبويه وكفرهما.

٨١ ﴿ فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه... ﴾ أن يرزقهما ربهما بدل هذا الولد ولدا خيرا منه ﴿ زكاة ﴾ أى: دينا وصلاحا وطهارة من الذنوب ﴿ وأقرب رحما ﴾ رحمة لوالديه.

٨٢ ﴿ وأما الجدار... ﴾ يعنى الذى أصلحه ﴿ فكان لغلامين يتيمين في المدينة ﴾ هى القرية المذكورة سابقا ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ كان مالا جسيما. والكنز: المال المدفون ﴿ وكان أبوهما صالحا ﴾ فكان صلاحه مقتضيا لرعاية ولديه وحفظ مالهما ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ﴾ أى كمالهما وتمام نموهما ﴿ ويستخرجا كنزهما ﴾ من ذلك الموضع الذى عليه الجدار، ولو انقض لخرج الكنز من تحته ﴿ رحمة من ربك ﴾ أى كان هذا التدبير من الله تعالى رحمة لهما، بصلاح أبيهما ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ عن اجتهادى ورأيي ﴿ ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴾ ولم نطق السكوت عليه.

الدرس الخامس:
(قصة ذى القرنين)
الآيات من ٨٣/١١٠
مدة الحفظ: يومان.

٨٣ ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين... ﴾ السائلون هم اليهود:

والقصة ﴿ قل سأتلو عليكم منه ذكرا ﴾ وذلك طريقة الوحى المتلو.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ
فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً
الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ
سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ
قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا
﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

٨٤ ﴿إنّا مكّنّا له في الأرض وآتيناه من كلّ شيء سببا﴾ لقد مكن الله له في الأرض، فأعطاه سلطانا وطيد.

٨٥ ﴿فأتبع سببا﴾ وسلك طريقه إلى الغرب.

٨٦ ﴿حتّى إذا بلغ مغرب الشّمس...﴾ أي: نهاية الأرض من جهة المغرب ليس بعدها إلا البحر المحيط ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾ أي كثيرة الحمأة وهي الطين الأسود ﴿ووجد عندها﴾ أي عند مغربها ﴿قوما﴾ وكانوا كفارًا ﴿قلنا يا ذا القرنين إمّا أن تعذّب وإمّا أن تتّخذ فيهم حسنا﴾ أي إما أن تعذبهم بالقتل من أول الأمر وإما تحسن إليهم بدعوتهم إلى الحق وتعليمهم الشرائع.

٨٧ ﴿قال ...﴾ ذو القرنين ﴿أمّا من ظلم﴾ نفسه بالإصرار على الشرك، ولم يقبل دعوتي ﴿فسوف نعذّبه﴾ بالقتل في الدنيا ﴿ثمّ يرد إلى ربّه﴾ في الآخرة ﴿فيعذّبه﴾ فيها ﴿عذابا نكرا﴾ أي منكرًا فظيعًا.

٨٨ ﴿وأمّا من آمن...﴾ بالله وصدق دعوتي ﴿وعمل﴾ عملاً ﴿صالحا﴾ مما يقتضيه الإيمان ﴿فله جزاء الحسنى﴾ وهي الجنة ﴿وسنقول له من أمرنا يسرا﴾ ذا يسر ليس بالصعب الشاق.

٨٩ ﴿ثمّ أتبع سببا﴾ أي طريقًا غير الطريق الأول.

٩٠ ﴿حتّى إذا بلغ مطلع الشّمس...﴾ أي الموضوع الذي تطلع عليه الشمس أولاً من معمور الأرض ﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا﴾ يسترهم، ويقول صاحب الظلال سيد قطب يرحمه الله ونحن لا نستطيع أن نجزم بشيء عن المكان الذي بلغ إليه ذو القرنين.

٩١ ﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا﴾ أي نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه لا يخفى علينا منها شيء وإن تفرقت أمهم.

٩٢ ﴿ثمّ أتبع سببا﴾ أي: طريقًا ثالثًا معترضًا بين المشرق والمغرب.

٩٣ ﴿حتّى إذا بلغ بين السّدّين...﴾ وهما جبلان من قبل أرمينية وأذربيجان ﴿وجد من دونهما﴾ أي من ورائهما ﴿قوما لا يكادون يفقهون قولا﴾ أي: لا يفهمون كلام غيرهم.

٩٤/ ٩٥ ﴿قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا..﴾ إنهم أرادوا أن يجمعوا لهم من بينهم مالاً يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سدا فقال ذو القرنين بعفة وديانه وصلاح وقصد للخير ﴿ما مكّني فيه ربّي خير﴾ أي الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه ﴿فأعينوني بقوّة﴾ ساعدوني بعملكم وآلات البناء ﴿أجعل بينكم وبينهم ردما﴾ والردم هو السد.

٩٦ ﴿آتوني زبر الحديد...﴾ قطع الحديد وهي كاللبنة ﴿حتّى إذا ساوى بين الصّدفين﴾ أي وضع بعضه على بعض من الأساس حتى حاذى به رؤوس الجبلين طولاً وعرضًا ﴿قال انفخوا﴾ أي أججّ عليه النار حتى صار كله نارًا ﴿قال آتوني أفرغ عليه قطرا﴾ وهو النحاس وزاد بعضهم النحاس المذاب.

٩٧ ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه...﴾ ما قدروا على أن يصعدوا من فوق السد ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ ولا قدروا على نقبه من أسفله.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي
أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

٩٨ ﴿قال هذا رحمة من ربي...﴾ أي: قال ذو القرنين: هذا (أي تمكني من بناء السد) من آثار رحمته بهؤلاء القوم، أو بالناس ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ أي أجل ربي ن يخرجوا منه قبيل يوم القيامة ﴿جعله دكاء﴾ أي مستويًا بالأرض ﴿وكان وعد ربي حقًا﴾ أي: وعده بخراب السد وخروج يأجوج ومأجوج وعدًا ثابتا لا يتخلف.

٩٩ ﴿وتركنا بعضهم...﴾ بعض الناس ﴿يومئذ﴾ يوم خروج يأجوج ومأجوج ﴿يموج في بعض﴾ فيختلطون ويضطربون يوم القيامة، ﴿ونفخ في الصور﴾ قيل: هي النفخة الثانية، بدليل قوله بعدها ﴿فجمعناهم جمعا﴾ أي أحييناهم بعد تلاشي أبدانهم ومصيرها ترابا ثم آتيناهم إلى المحشر جميعًا.

١٠٠ / ١٠١ ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا...﴾ أي: أظهرناها لهم حتى شاهدوها يوم جمعنا لهم ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ وهو الآيات التي يشاهدها من له تفكر واعتبار، فيذكر الله بالتوحيد والتمجيد ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ لتعاميهم عن المشاهدة بالأبصار.

١٠٢ ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني...﴾ وهم الملائكة والمسيح والشياطين ﴿أولياء﴾ أي معبودين ﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ أي: هيأناها لهم نزلاً يتمتعون به عند ورودهم.

١٠٣/١٠٥ ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا...﴾ بأشد الناس خسرانًا لأعمالهم؟ هم: ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ ضلال السعي: بطلانه وضياعه ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ مخدوعون بما هم عليه يظنون أنهم محسنون في ذلك منتفعون بآثاره ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ بدلائل توحيده من الآيات الكونية وما بعده من أمور الآخرة ﴿فحبطت أعمالهم﴾ أي: التي عملوها مما يظنونه حسنًا ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ لا يكون لهم عندنا قدر ولا نعبأ بهم.

١٠٦ ﴿ذلك...﴾ من أنواع الوعيد ﴿جزاؤهم جهنم بما كفروا﴾ أي: بسبب كفرهم.

١٠٨/١٠٧ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ ضد صفة من قبلهم ﴿كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾ الفردوس في كلام العرب: الشجر الملتف ﴿نزلا﴾ معدًا لهم ﴿خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ لا يطلبون تحولاً عنها.

١٠٩ ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي...﴾ لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددًا لنفد أيضًا، فيستفاد من الآية: كثرة كلمات الله بحيث لا تكفى لكتابتها الأقلام والكتب.

١١٠ ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم...﴾ لا يتخطاها فحالي مقصور على البشرية ﴿يوحى إلي﴾ وكفى بهذا الوصف فارقًا بينه وبين سائر البشر ﴿أنما إلهكم إله واحد﴾ لا شريك له في الوهيته ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ من كان له هذا الرجاء ﴿فليعمل عملا صالحا﴾ وهو ما دل الشرع على أنه عمل خير ثياب عليه فاعله ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ من خلقه سواء كان صالحًا، أو طالحًا.

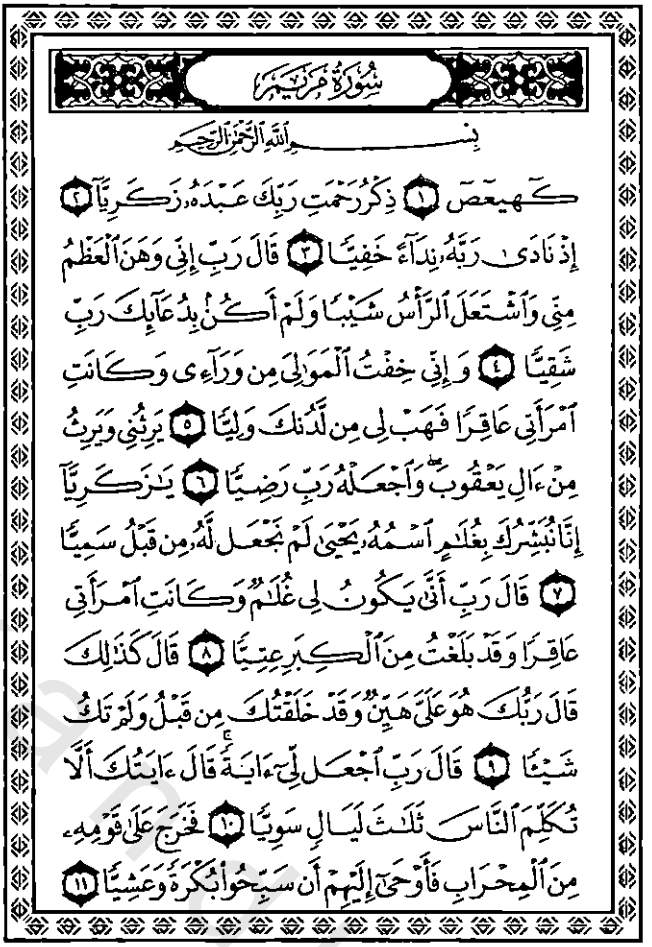
سُورَةُ مَرْيَمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ
مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

سورة مريم

الدرس الأول:

(قصة زكريا ويحى)

من الآية ١/ ٤٠

مدة الحفظ: ثلاثة أيام.

١ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ يقول الأستاذ سيد قطب يرحمه الله: هذه الأحرف المتقطعة التى تبدأ بها بعض السور، والتى اخترنا فى تفسيرها أنها نماذج من الحروف التى يتألف منها القرآن، لا يستطيعه البشر مع أنهم يملكون الحروف ويعرفون الكلمات، ولكنهم يعجزون أن يصوغوا منها مثل ماتصوغه القدرة المبدعة لهذا القرآن.

٢ ﴿ذكر رحمت ربك عبده زكريا﴾ وهو من أنبياء بنى إسرائيل وزوجته خالة عيسى عليهم السلام).

تبدأ السورة بمشهد الدعاء. دعاء زكريا:

٣ ﴿إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ لكونه قد صار ضعيفا هرما لا يقدر على الجهر.

٤ ﴿قال رب إني وهن العظم منى...﴾ أي فترت وضعفت قوته ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ كثر شيبه جدا، وهذا كناية عن الهرم ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ أى: لم أكن خائبا، بل كلما دعوتك استجبت لى.

٥/٦ ﴿وإني خفت الموالي من ورائي...﴾ الموالى هنا هم الأقارب وسائر العصبات من بنى العم ونحوهم، فهم كانوا مهملين لأمر الدين، أو انشغلوا بالدنيا ﴿وكانت امرأتي عاقرا﴾ لا تلد لكبر سنها ﴿فهب لي من لدنك وليا﴾ وهو هنا أراد الولد ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ الوراثة هنا: هى وراثة العلم والنبوة ويقوم برعاية أمورهم فى الدين ﴿واجعله رب رضيا﴾ أى مرضيًا في أخلاقه وأفعاله، ترضاه أنت ويرضاه عبادك.

ثم ترتسم لحظة الاستجابة فى رعاية وعطف ورضى:

٧ ﴿يا زكريا...﴾ يناديه الرب من الملأ الأعلى. ويجعل له البشرى ﴿إنا نبشرك بغلام﴾ ويغمره بالعطف فيختاره له اسم الغلام ﴿اسمه يحيى﴾ وهو اسم فذ غير مسبوق ﴿لم نجعل له من قبل سميا﴾.

وزكريا يريد أن يطمئن ويعرف الوسيله التى يرزقه الله بها هذا الغلام:

٨ ﴿قال رب أنى يكون لي غلام...﴾ معناه التعجب من قدرة الله حيث يخرج ولدًا من إمرأة عاقر وشيخ كبير ﴿وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ انتهى سنه وكبر.

وهنا يأتيه الجواب عن سؤاله:

٩ ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين...﴾ سهل ميسور ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ أوجده من العدم المحض.

١٠ ﴿قال رب اجعل لي آية...﴾ أى: علامة تدلنى على وقوع المسئول، وحصول البشرى من الله سبحانه يحمل إمرأته بابنها يحيى ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ ألا تقدر على الكلام وأنت سوى الخلق، ليس بك آفة تمنعك منه ومع ذلك يحتبس صوته إذا كلم الناس.

١١ ﴿فخرج على قومه من المحراب...﴾ وهو مصلاه ﴿فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ أى: أشار إليهم لأنه لا يستطيع الكلام.

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾
وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ
بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾

ويفتح السياق صفحة جديدة على يحيى، يناديه ربه من الملأ الأعلى:

١٢/١٣ ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة...﴾ والكتاب هو التوراة كتاب بنى إسرائيل من بعد موسى. ونودى ليحمل العبء وينهض بالأمانه فى قوة وعزم ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ والحكم: الحكمة وهى الفهم للكتاب، وقيل: النبوة ﴿وحنانا من لدنا﴾ والحنان: الرحمة والشفقة كائنة فى قلبه ﴿وزكاة﴾ التطهير والبركة ﴿وكان تقيا﴾ مطيعًا لله.

١٤ ﴿وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا...﴾ إنه لم يكن متكبرا ولا عاصيًا لوالديه أو لربه.

١٥ ﴿وسلام عليه يوم ولد...﴾ أمن من الشيطان فى ذلك اليوم ﴿ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ أى له الأمان فى هذه الأحوال الثلاثة.

والآن إلى قصة ميلاد عيسى:

١٦ ﴿واذكر فى الكتاب...﴾ يا محمد للناس فى هذه السوره قصة ﴿مريم إذ انتبذت﴾ تنحت وتباعدت ﴿مكانا شرقيا﴾ أى: مكانًا من جانب الشرق من بيت المقدس.

١٧ ﴿فاتخذت من دونهم حجابا...﴾ حجابًا يسترها عنهم لئلا يروها حال العبادة ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ هو جبريل عليه السلام ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾ فظنت أنه يريدها بسوء.

١٨ ﴿قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾ أى: ممن يتقى الله ويخافه فإننى استعيذ بالله منك فاخرج من وراء الحجاب.

١٩ ﴿قال إنما أنا رسول ربك...﴾ أى: لست أريد بك سوءًا، ولكن أنا رسول إليك من ربك ﴿لأهب لك غلاما زكيا﴾ طاهرًا من الذنوب.

فتسأل فى صراحة: كيف؟

٢٠ ﴿قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر...﴾ أى لم يقربنى زوج ولا غيره ﴿ولم أك بغيا﴾ البغى: هى الزانية التى تبغى الرجال بالأجر.

٢١ ﴿قال كذلك قال ربك هو علىّ هين...﴾ هين على الله. فأمام القدرة التى تقول للشئ كن فيكون كل شئ هين ﴿ولنجعله آية للناس﴾ يستدلون بها على كمال القدرة ﴿ورحمة منا﴾ منه من الهداية والخير الكثير ﴿وكان أمرا مقضيا﴾ إن هذا قد انتهى أمره، وتحقق وقوعه.

ويعرض السياق مشهد العذراء الحائرة فى موقف آخر أشد هولاً:

٢٢ ﴿فحملته...﴾ أى فنفخ فى جيب درعها، فوصلت النفخة إلى بطنها فحملته ﴿فانتبذت به مكانا قصيا﴾ اعتزلت إلى مكان بعيد.

٢٣ ﴿فأجاءها المخاض...﴾ حالة الولادة ﴿إلى جذع النخلة﴾ ألجأها واضطرها إلى ساق النخله اليابسة ﴿قالت يا ليتنى متُّ قبل هذا﴾ لأنها خافت أن يُظن بها السوء ﴿وكنت نسيا منسيا﴾ فالشئ الحقير هو الذى من شأنه أن ينسى ولا يذكر.

٢٤ ﴿فناداها من تحتها...﴾ وتقع المفاجأة الكبرى طفل ولد اللحظة يناديها من تحتها. يطمئن قلبها ويصلها بربها ﴿ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا﴾ أجرى لك تحد قدميك سريا: نهرًا صغيرًا.

٢٥ ﴿وهزى إليك بجذع النخلة...﴾ أمسكى به وهزيه ﴿تساقط عليك رطبا جنيا﴾ هو ما طاب وصلح.

معانى الكلمات:

تنبذت: اعتزلت وانفردت

فأجاءها المخاض: ألجأها واضطرها وجع الولاده

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن
بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

﴿وَالزَّكَاةِ﴾ زكاة المال، أو تطهير النفس ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ أى مدة دوام حياتى ﴿وبرًا بوالدتي﴾ علم فى تلك الحال أنه لم يكن له أب ﴿ولم يجعلني جبارًا شقيًا﴾ الجبار: المتعظم، الشقى: العاصى لربه ﴿والسلام علىَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا﴾ أى السلام على يوم ولدت فلم يضرنى الشيطان فى ذلك الوقت، ولن يغوينى عند الموت، ولا عند البعث.

٣٤ ﴿ذلك...﴾ المتصف بالأوصاف السابقة الذى قال إنى عبد الله هو ﴿عيسى ابن مريم قول الحق﴾ أى هذا الكلام هو قول الحق فى حقيقة عيسى بن مريم لا ما يقوله الضالون ولا المغضوب عليهم ﴿الذي فيه يمترون﴾ يختلفون.

٣٥ ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد...﴾ أى: ما صح ولا استقام ذلك ﴿سبحانه﴾ أى تنزه وتقدس عن مقالتهم هذه ﴿إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾ فمن كان هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد؟

٣٦ ﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ هو الطريق القيم الذى لا اعوجاج فيه، ولا يضل سالكه.

بعد هذا التقرير يعرض اختلاف الفرق والأحزاب فى أمر عيسى:

٣٧ ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم...﴾ فى أمر عيسى، فاليهود قالوا: إنه ساحر، وقالوا: إنه ابن يوسف النجار، والنصارى اختلفت فرقهم فيه ﴿فويل للذين كفروا﴾ وهم المختلفون فى أمره ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ وهو يوم القيامة وما يجرى فيه من الحساب والعقاب.

٣٨ ﴿أسمع بهم وأبصر...﴾ أى ما أقوى سمعهم وأبصارهم ﴿يوم يأتوننا﴾ أى: للحساب والجزاء. ﴿لكن الظالمون اليوم﴾ أى فى الدنيا ﴿في ضلال مبين﴾.

٢٦ ﴿فكلي واشربي...﴾ هنيئا ﴿وقرّي عينًا﴾ واطمئنى قلبا. فأما إن واجهت أحدًا فاعلميه بطريقة غير الكلام ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صومًا﴾ الصوم هنا: الصمت عن الكلام ﴿فلن أكلم اليوم إنسيًا﴾ فأحبرتهم بالإشارة فأفاقت واطمأنت إلى أن الله لن يتركها:

٢٧/٢٨ ﴿فأتت به قومها تحمله...﴾ أى بعيسى تحمله من المكان القصى الذى انتبذت فيه، فلما رأوا الولد ﴿قالوا﴾ منكرين لذلك ﴿يا مريم لقد جئت﴾ أى فعلت ﴿شيئا فريًا﴾ عجيبًا نادرًا ﴿يا أخت هارون﴾ ونظنها مثل هارون فى العباده ﴿ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًا﴾ فمن أين يأتيك السوء؟

وتنفذ مريم وصية الطفل العجيب التى لقنها إياها:

٢٩ ﴿فأشارت إليه...﴾ أى: إلى عيسى، اكتفت بالإشارة ولم تأمره بالنطق، لأنها نذرت للرحمن صوما عن الكلام.

٣٠/٣٣ ﴿قال...﴾ عيسى ﴿إني عبد الله﴾ فكان أول مانطق به الاعتراف بالعبودية لله ﴿آتاني الكتاب﴾ وهو الإنجيل: أى قدر لى فى الأزل أن أكون نبيا ذا كتاب ﴿وجعلني مباركا أين ما كنت﴾ المبارك: النفاع للعباد، والمعلم للخير ﴿وأوصاني بالصلاة﴾ أى أمرنى بها

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

٣٩ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة...﴾ يوم تشتد الحسرات أنذرهم هذا اليوم الذي لا تنفع فيه الحسرات ﴿إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ وكأنما ذلك اليوم موصول بعدم إيمانهم، موصول بالغفلة التي هم فيها سادرون.

٤٠ ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾ إلى الوارث الوحيد.

الدرس الثاني:

(قصة إبراهيم)

من الآيات رقم ٤١/٦٥

مدة الحفظ: يومان.

هذا الدرس حلقة من قصة إبراهيم تكشف عما في عقيدة الشرك من نكارة وكذب وضلال.

٤١ ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم...﴾ أي: اتل خبره على الناس ﴿إنه كان صديقا نبيا﴾ الصديق: الكثير الصدق، أو هو القوي التصديق لآيات الله.

٤٢/٤٥ ﴿إذ قال لأبيه...﴾ بهذا اللطف يتوجه إبراهيم إلى أبيه ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾ فلا يجلب لك النفع ولا يدفع عنك الضر ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾ وهو الوحي من قبل الله سبحانه، لم يصل إلى أبيه، ولذلك قال: ﴿فاتبعني أهدك صراطا سويا﴾ مستويا موصولا إلى المطلوب منجيا من المكروه ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ أي لا تطعه ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ والعاصي حقيق بأن تسلب عنه النعم وتحل به النقم.

﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ أي على شركك وعصيانك لما أمرك به ﴿فتكون للشيطان وليا﴾ يعني فلا يكون الشيطان لك مولى ولا ناصرا ولا مغيثا.

ولكن هذه الدعوة اللطيفة لا تصل إلى القلب المشرك الصلب اليابس:

٤٦ ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم...﴾ أمعرض أنت عن تلك الأصنام ومنصرف إلى غيرها ﴿لئن لم تنته لأرجمنك﴾ أي: بالحجارة ﴿واهجرني مليا﴾ أي فارقني زمانا طويلا.

ولم يغضب إبراهيم الحليم.

٤٧ ﴿قال سلام عليك...﴾ أي: تحية توديع ﴿سأستغفر لك ربي﴾ وكان منه هذا الوعد قبل أن يعلم أنه يموت على الكفر ﴿إنه كان بي حفيا﴾ كثير البر واللطف.

٤٨ ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله...﴾ أي أهاجر بديني عنكم وعن معبوداتكم ﴿وأدعو ربي﴾ وحده ﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾ أي: خائبا.

٤٩ ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله...﴾ أي عندما ترك أرضه ووطنه وهاجر في سبيل الله إلى أرض بيت المقدس ﴿وهبنا له إسحاق﴾ ابنه ﴿ويعقوب﴾ حفيده بدل الأهل الذين فارقهم ﴿وكلا جعلنا نبيا﴾ أي: كل واحد منهم جعلناه نبيا.

٥٠ ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا...﴾ النبوة والمال والأولاد والكتاب ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ الثناء الحسن على ألسن العباد.

ثم يمضي السياق فيذكر موسى وهارون.

٥١ ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا...﴾ أي: جعلناه مختارا، وأخلصناه ﴿وكان رسولا نبيا﴾ أرسله إلى عباده، فأنبأهم عن الله بشرائعه.

وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن
رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا
﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ
أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

٥٢ ﴿ونادينـٰه من جانب الطور﴾ أي: كلمناه من جانب الطور عن يمين موسى (ويحتمل أن المراد يمين الجبل نفسه) ﴿وقربنـٰه نجيًا﴾ كل ذلك بين فضل موسى بندائه وتقريبه الى الله للدرجة الكلام.

٥٣ ﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ أي من نعمتنا أخاه ﴿هارون نبيًا﴾ وذلك حين سأل ربه ﴿واجعل لي وزيرا من أهلي (٢٩) هرون أخي﴾

ثم يعود السياق إلى الفرع الآخر من ذرية إبراهيم

فيذكر إسماعيل أبا العرب:

٥٤/٥٥ ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل...﴾ وهنا ينوه من صفات إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة... ثم يثبت السياق أنه كان عند ربه مرضيا...

وأخيرًا يختم السياق بذكر إدريس:

٥٦/٥٧ ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيًا﴾ وهو ذكره بهذا الثناء وأن الله رفعه مكانًا عليا. فأعلى قدره ورفع ذكره.

٥٨ ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين...﴾ المذكورين من أول السورة إلى هنا ﴿ومن حملنا مع نوح﴾ أي: من ذرية من حملنا ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ أي ومن ذرية إسرائيل، وهو يعقوب ومنهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وممن هدينا﴾ أي من جملة من هدينا إلى الإسلام ﴿واجتبينا﴾ أي اصطفينا من العباد حتى جعلناهم أنبياء ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾ كانوا إذا سمعوا آيات الله بكوا وسجدوا

٥٩ ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة...﴾ بعيدون عن الله فتركوها وجحدوها ﴿واتبعوا الشهوات﴾ فعلوا كل ما تشتهيه أنفسهم من المحرمات ﴿فسوف يلقون غيا﴾ والغي الشرود والضلال، وعاقبة الشرود الضياع والهلاك.

ثم يفتح باب التوبه على مصراعيه:

٦٠/٦١ ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحا...﴾ فالتوبة التى تنشئ الإيمان والعمل الصالح... تنجى من ذلك المصير فلا يلقى أصحابها ﴿غيا﴾ إنما يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا. يدخلون للإقامة. الجنة التى وعد الرحمن عباده إياها. ووعد الله واقع لا يضيع.

ثم يرسم صورة للجنة ومن فيها:

٦٢/٦٣ ﴿لا يسمعون فيها لغوا...﴾ هو الهذر من الكلام الذى لا طائل تحته ﴿إلا سلاما﴾ ولكن يسمعون سلام بعضهم على بعض. أو سلام الملائكة عليهم ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ يأتيهم ما يشتهون من الطعام على مقدار ما يعرفون من الغداء والعشاء. وهذه الجنة نجعلها لأهل التقوى.

ويختم هذا الدرس بإعلان الربوبية المطلقة لله:

٦٤ ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك...﴾

سبب نزول هذه الآية: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ [يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟] قال فنزلت الآية: قال: كان هذا الجواب لمحمد رسول الله ﷺ ﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك﴾ أى من الجهات والأماكن، أو من الأزمنة الماضية والمستقبله ﴿وما كان ربك نسيًا﴾ أى لم ينسك وإن تأخر عنك الوحى، ولا ينسى شيئا.

رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى الضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

٦٥ ﴿رب السموات والأرض وما بينهما...﴾ ..فلا ربوبية لغيره، ﴿فاعبده واصطبر لعبادته﴾... اعبده واصطبر على تكاليف العبادة. ﴿هل تعلم له سميا﴾ هل تعرف له نظيرا؟ تعالى الله عن السمي والنظير.

الدرس الثالث:

(البعث ومشاهد القيامة)

من الآية رقم ٦٦/٩٨

مدة الحفظ: يومان.

تعرض المقدمة هنا فى هذه الأرض، وتعرض نتيجتها هنالك فى العالم الآخر:

٦٦ ﴿ويقول الإنسان...﴾ والمراد به هنا الكافر ﴿أئذا ما متُّ لسوف أُخرج حيا﴾ وهو اعتراض منشؤه غفلة الإنسان عن نشأته الأولى:

٦٧ ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا...﴾ ثم يعقب على هذا الإنكار والاستنكار بقسم تهديدى:

٦٨ ﴿فوربك لنحشرنهم...﴾ إلى المحشر بعد إخراجهم من قبورهم أحياء ﴿والشياطين﴾ أى: يحشرهم الله مع شياطينهم ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ أى جاثين على ركبهم وهو مشهد ذليل للمتجبرين والمتكبرين.

٦٩ ﴿ثم لننزعن من كل شيعة...﴾ أى من كل فرقة اتى تبعت دينا من الأديان ﴿أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ ينزع من كل طائفة من طوائف الغى والفساد أعصاهم وأعتاهم، وهم قادتهم ورؤساؤهم فى الشر.

٧٠ ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ أى: إن هؤلاء هم أشد على الرحمن عتيا هم أولى بحريق النار.

٧١/ ٧٢ ﴿وإن منكم إلا واردها...﴾ ما من أحد من الناس إلا سوف يرد إلى النار ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ لا بد من وقوعه لا محالة ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ اتقوا ما يوجب النار وهو الكفر بالله ومعاصيه ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ يبقون جاثين على ركبهم لا يستطيعون الخروج.

٧٣ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا...﴾ يعيرون الذين آمنوا بفقرهم، ويعتزون بثرائهم ومظاهرهم فى عالم الفناء ﴿للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾ إنه منطق الأرض. منطق المحجوبين عن الآفاق العليا فى كل زمان ومكان.

٧٤ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن...﴾ القرن: الأمة والجماعة ﴿هم أحسن أثاثا﴾ الأثاث: المال أجمع ﴿ورءيا﴾ أى أحسن منظر لدى الناس من جهة حسن اللباس، أو حسن الأبدان وتنعمها.

٧٥ ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا...﴾ أى يخبط فى الدنيا على هواه، فإن الله تعالى جعل جزاءه أن يتركه فى ضلالته ويمده فيها. ﴿إما العذاب﴾ فى الدنيا بالقتل والأسر وإما يوم القيامة وما يحل بهم حينئذ من العذاب الأخرى ﴿فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا﴾ أى هؤلاء الذين افتخروا على المؤمنين.

٧٦ ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى...﴾ وذلك أن الخير يدعو إلى الخير، والله يجعل جزاء المؤمنين أن يزيدهم يقينا ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا﴾ انفع مما يتمتع به الكفار من النعم الدنيوية ﴿وخير مردا﴾ المرد: المرجع والعاقبة.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

ثم يستعرض السياق نموذجًا آخر من تبجح الكافرين:

٧٧/ ٨٠ ﴿أفرءيت الذي كفر بآياتنا...﴾ الا أخبرك بقصة هذا الكافر الذى قال: ﴿وقال لأوتين مالاً وولدا﴾.

سبب نزول هذه الآية عن خباب بن الأرت قال: كان لى دين على العاص بن وائل فأتيته اتقاضاه فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: إنى إذا مت ثم بعثت، جئنى وسيكون لى ثم مال وولد فأعطيك، فأنزل الله تعالى هذه الآية:

والقرآن يعجب من أمره، ويستنكر إدعاءه: ﴿أطلع الغيب﴾ فهو يعرف ما هنالك ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ فهو واثق من تحققه، ثم يعقب ﴿كلا﴾ فهو التهديد والوعيد ﴿سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا﴾ فنسجله عليه ليوم الحساب فلا يُنسى ولا يقبل المغالطة ﴿ونرثه ما يقول﴾ أى نأخذ ما يخلفه مما يتحدث عنه من مال وولد ﴿ويأتينا فردا﴾ لا مال معه ولا ولد ولا نصير ولا سند.

ويستطرد السياق فى استعراض ظواهر الكفر والشرك.

٨٢/٨١ ﴿واتخذوا من دون الله آلهة...﴾ ليكونوا لهم أعوانًا ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم﴾ بل ستجحد هذه الأصنام عبادة الكفار لها يوم ينطقها الله سبحانه ﴿ويكونون عليهم ضدا﴾ تكون لهم ضدًا عليهم وأعداء.

٨٣ ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين...﴾ أى سلطناهم عليهم تحركهم إلى فعل المعاصى وتهيجهم وتغويهم.

٨٤ ﴿فلا تعجل عليهم...﴾ بأن تطلب من الله التعجيل بإهلاكهم بسبب تصميمهم على الكفر وعنادهم ﴿إنما نعد لهم عدا﴾ يعنى نعد الأيام والليالى والشهور والسنين إلى انتهاء آجالهم.

٨٥ ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن أى وافدين إلى جنته ودار كرامته.

٨٦ ﴿ونسوق المجرمين...﴾ نحشرهم على السير طردًا ﴿إلى جهنم وردا﴾ الورد: المشاة العطاش، كالإبل ترد الماء.

٨٧ ﴿لا يملكون الشفاعة﴾ إلا لمن قال لا إله إلا الله مؤمنا بها لا يشرك بالله شيئا.

٨٨ ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾ هو قول اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله.

٨٩ ﴿لقد جئتم شيئا إدا﴾ قلتم قولاً منكرًا.

٩٠ ﴿تكاد السموات يتفطرن منه...﴾ أى تتشقق ﴿وتنشق الأرض﴾ وتكاد أن تنشق الأرض ﴿وتخر الجبال﴾ تسقط وتنهدم ﴿هدا﴾ وتنهد هدا.

٩٢/٩١ ﴿أن دعوا للرحمن ولدا﴾ وذلك لبذاءة هذا القول ﴿وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا﴾ لا يصلح ولا يليق به.

٩٣ ﴿إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا﴾ يأتى يوم القيامة مقرًا بالعبودية خاضعا ذليلاً.

٩٤ ﴿لقد أحصاهم﴾ أى حصرهم وعلم عددهم ﴿وعدهم عدا﴾ ولا يتخلف أحد عن الحضور.

٩٥ ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ وحده لا ناصر له ولا مال معه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طٰهٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً
لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ
فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ
ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

٩٦ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًا﴾ وفى الحديث الصحيح [إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إنى قد أحببت فلانا فأحبه، فينادى فى السماء ثم ينزل له المحبة فى أهل الأرض. وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل: إنى قد أبغضت فلانا، فينادى فى أهل السماء. ثم ينزل له البغضاء فى الأرض].

٩٧ ﴿فإنما يسرناه بلسانك...﴾ أى: يسرنا القرآن بإنزالنا له على لغتك، وفصلناه وسهلناه ﴿لتبشر به المتقين﴾ أى: المتلبسين بالتقوى، المتصفين بها ﴿وتنذر به قومًا لُدًّا﴾ ذوى خصومة شديدة.

٩٨ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن...﴾ أى: من أمة وجماعة من الناس ﴿هل تحس منهم من أحد﴾ أى: هل تشعر بأحد منهم أو تراه ﴿أو تسمع لهم ركزا﴾ الركز: الصوت الخفى.

سورة طه

الدرس الأول: (قصة موسى)

من الآية رقم ١/٩٨

مدة الحفظ: ستة أيام.

١ ﴿طه﴾ طا. ها مطلع رخى ندى. ويتلو هذين الحرفين حديث عن القرآن:

٢ ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ أي لتتعب بفرط تأسفك عليهم، وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا، فإن إيمانهم ليس لك.

٣ ﴿إلا تذكرة...﴾ لتذكر به من يوفقه الله للتقوى، وليس عليك جبرهم على الإيمان.

٤ ﴿تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ هذا إخبار للعباد ليقدروا القرآن حق قدره.

٥ ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ علا وارتفع على العرش ولا يعرف البشر كيف ذلك؟

٦ ﴿له ما في السموات وما في الأرض...﴾ مالك كل شئ ومدبره ﴿وما بينهما﴾ من الموجودات ﴿وما تحت الثرى﴾ أى: ما تحت التراب من شئ.

وعلم الله يحيط بما يحيط به ملكه:

٧ ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ والأخفى من السر: هو ما حدث به الإنسان نفسه وأخطره بباله.

٨ ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ أى التى هى أحسن الأسماء لدلالتها على كل الكمال والجلال.

ثم يقص الله على رسوله حديث موسى:

٩ ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ أى: قصته مع فرعون وملئه، وفى سياق هذه القصة تسلية للنبى ﷺ لما يلاقيه من مشاق أحكام النبوة.

١٠ ﴿إذ رأى نارا...﴾ وكانت رؤيته للنار فى ليلة مظلمة ﴿فقال لأهله امكثوا﴾ أقيموا مكانكم ﴿إني آنست نارا﴾ رأيتها من بعيد ﴿لعلي آتيكم منها بقبس﴾ وهى شعلة من النار(يأخذه الرجل ليوقد به نارًا أخرى) ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أى: هاديا يهدينى إلى الطريق ويدلنى عليها.

١١/١٣ ﴿فلما أتاها نودي...﴾ أي فلما أتى النار التى رآها ناداه الله تعالى قائلاً ياموسى ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾ أمره بنزعهما ليكون حافيا ﴿إنك بالواد المقدس طوى﴾ المقدس: المطهر، طوى: اسم الوادى وهو من أرض سيناء.

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ
لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

١٣/١٦ ﴿وأنا اخترتك...﴾ فيا للتكريم والاختيار ﴿فاستمع لما يوحى﴾: وبلخص ما يوحى في ثلاثة أمور مترابطة:

﴿فاعبدني﴾ الاعتقاد بالوحدانية ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ أي التوجه بالعباده ﴿إن الساعة آتية﴾ والإيمان بالساعة، فاعمل لها الخير من عبادة الله والصلاة وأنه يكاد يخفيها، فعلم الناس بها قليل ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ بما تسعى فيه اعمالها ﴿فلا يصدنك عنها﴾ لا يصرفنك عن الإيمان بالساعة والتصديق بها ﴿من لا يؤمن بها﴾ من الكفرة ﴿واتبع هواه﴾ بالانهماك في المحرم من اللذات الحسية الفانية ﴿فتردى﴾ أي: فتهلك.

ويتلقى موسى سؤالاً لا يحتاج إلى جواب:

١٧/٢٤ ﴿وما تلك بيمينك يا موسى..﴾ إنها عصاه. ولكن أين هو من عصاه؟ إنه يتذكر فيجيب: ﴿قال هي عصاي﴾ عصاه الحقيقية التي يعرفها ﴿أتوكأ عليها﴾ أتحامل عليها في المشي عند الإعياء ﴿وأهش بها على غنمي﴾ لزجر الغنم ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ أي: حوائج، ومنافع العصا كثيرة معلومة ﴿قال ألقها يا موسى﴾ ووقعت المعجزة ﴿فإذا هي حية تسعى﴾ وخاف موسى وفزع وولى مدبرا ﴿قال﴾ سبحانه ﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ سنعيدها بعد أخذك لها إلى حالتها الأولى ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ وهو أمر علوى آخر، ووضع موسى يده تحت إبطه ﴿تخرج بيضاء﴾ مضيئة كضوء الشمس والقمر ﴿من غير سوء﴾ من غير عيب ولا برص ﴿آية أخرى﴾ أي: معجزة أخرى غير العصا ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ أي بهاتين الآيتين فتشهد وقوعها بنفسك تحت بصرك وحسك ﴿اذهب إلى فرعون﴾ رسولاً منا إليه ﴿إنه طغى﴾ كفر وتجاوز الحد.

٢٥/٣٥ ﴿قال رب اشرح لي صدري﴾ وسعه ليحتمل أذى الناس وأعباء الرسالة ﴿ويسر لي أمري﴾ فأنت نصيري وعوني وعضدي ﴿واحلل عقدة من لساني (٢٧) يفقهوا قولي﴾ وذلك لما كان أصابه، من اللثغ (حين عرض عليه التمرة والجمرة وهو مولود) فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه -كما سيأتي بيانه- ﴿واجعل لي وزيرا من أهلي (٢٩) هرون أخي﴾ وهذا أيضا سؤال من موسى -عليه السلام-، في أمر خارجي عنه وهو مساعدة أخيه هارون له ﴿اشدد به أزري﴾ أي مهمتي ﴿وأشركه في أمري﴾ في مشاورتي ﴿كي نسبحك كثيرا (٣٣) ونذكرك كثيرا﴾ قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا قوله ﴿إنك كنت بنا بصيرا﴾ أي في اصطفائك لنا واعطائك إيانا النبوة.

واجابه الله فيما سأله:

٣٦/٣٧ ﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وحل العقدة، ونبوة هارون ﴿ولقد منا عليك مرة أخرى﴾ كلام مستأنف بتذكيره نعم الله عليه، والمنُّ: الإحساس والانفصال:

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا
فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ
أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

٣٨ ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى﴾ إما مجرد الإلهام لها، أو فى النوم.

٣٩ ﴿أن اقذفيه في التابوت﴾ والتابوت هو صندوق من خشب أو غيره يطفو على الماء ﴿فاقذفيه في اليم﴾ أى: اطرحيه فى البحر ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ -واليم هنا هو نهر النيل- أمر الله تعالى النيل بإلقاء موسى على الشط قبالة منزل فرعون ﴿يأخذه عدو لي وعدو له﴾ فأخذه فرعون ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ لا يراه أحد إلا أحبه ﴿ولتصنع على عيني﴾ لتتربى بمرأى منى (ورعاية خاصة بك)

٤٠ ﴿إذ تمشي أختك...﴾ خرجت تمشى على الشاطئ لترى أين يستقر، فوجدت فرعون وامرأته يطلبان له مرضعة، فقالت لهما ﴿فتقول هل أدلكم على من يكفله﴾ أى: يربيه: فجاءت الأم فقبل ثديها، وكان لا يقبل ثدى مرضعة غيرها ﴿فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها﴾ والمراد السرور برجوع ولدها ﴿ولا تحزن﴾ بسبب يطرأ بعد ذلك ﴿وقتلت نفسا﴾ نفس القبطى الذى وكزه موسى فقضي عليه خطأ ﴿فنجيناك من الغم﴾ أى: الغم الحاصل معك من قتله خوفا من العقوبة ﴿وفتناك فتونا﴾ وخلصناك مما وقعت فيه من المحن قبل أن يصطفيك الله ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾ هرب إليها موسى، فأقام بها عشر سنين كانت مهر امرأته ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾ أى: فى وقت سبق فى قضائى وقدرى.

٤١ ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ أى: اخترتك لإقامة حجتى، وجعلتك بينى وبين خلقى.

٤٢ ﴿اذهب أنت وأخوك...﴾ هارون ﴿بآياتي﴾ بمعجزاتى التى جعلتها لك آية، وهى التسع آيات ﴿ولا تنيا في ذكري﴾ أى: لا تضعفا ولا تفترا عن ذكر الله.

٤٣ ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ أى جاوز الحد فى الكفر والتمرد.

٤٤ ﴿فقولا له قولا ليّنا...﴾ لا خشونة فيه ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ حتى يمعن النظر فيما تبلغانه.

٤٥ ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا...﴾ أن يعجل ويبادر بعقوبتنا ويشتط فى أذيتنا.

٤٦ ﴿قال لا تخافا إنني معكما...﴾ بالنصر والمعونة على فرعون ﴿أسمع وأرى﴾ ولست بعيدًا عنكما.

٤٧ ﴿فقولا إنا رسولا ربك...﴾ أرسلنا الله إليك ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ وأطلقهم من الأسر ﴿ولا تعذبهم﴾ كانوا عند فرعون فى عذاب شديد ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ هى العصا واليد ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ وسلم من سخط الله عزوجل ومن عذابه.

٤٨ ﴿إنا قد أوحي إلينا...﴾ من جهة الله سبحانه ﴿أن العذاب على من كذب وتولى﴾ الهلاك والدمار فى الدنيا، والخلود فى النار.

لقد أتيا فرعون والمشهد هنا يبدأ بما دار بينه وبين موسى -عليه السلام- من حوار:

٤٩ ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ فأضاف الرب إليهما ولم يضفه إلى نفسه لعدم تصديقه لهما.

٥٠ ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه...﴾ أى صورته وشكله.

٥١ ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ فإنها لم تقر بالرب الذى تدعو إليه يا موسى بل عبدت الأوثان ونحوهما من المخلوقات.

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟
وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا
خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ
أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

٥٢ ﴿قال علمها عند ربي...﴾ أي إن كل أعمالهم محفوظة عند الله في اللوح المحفوظ، يجازي بها ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ لا يضل: لا يخطئ.

٥٣ ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا...﴾ كالفراش ممهدة تعيشون عليها بيسر وسهولة ﴿وسلك لكم فيها سبلا﴾ طرقا تسلكونها وسهلها لكم ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ هو ماء المطر ﴿فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾ أي: ضروبا وأشباها من أصناف النبات المختلفة.

٥٤ ﴿كلوا وارعوا أنعامكم...﴾ يمتن الله تعالى بأن خلق ذلك النبات بأصنافه صالحا للإنسان والأنعام المسخرة له ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أصحاب العقول الراجحة.

٥٥ ﴿منها خلقناكم...﴾ أي من تراب الأرض ﴿وفيها﴾ أي: في الأرض ﴿نعيدكم﴾ بعد الموت فتدفنون فيها، وتتفرق أجزاؤكم حتى تصير من جنس الأرض ﴿ومنها﴾ أي: من الأرض ﴿نخرجكم تارة أخرى﴾ أي: بالبعث والنشور.

٥٦ ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها...﴾ هي الآيات التسع المذكورة ﴿فكذب وأبى﴾ وأبى أن يجيبه إلى الإيمان.

٥٧ ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى﴾ وذكر الملعون الإخراج من الأرض لتنفير قومه عن إجابة موسى.

٥٨ ﴿فلنأتينك بسحر مثله...﴾ لنعارضنك بمثل ما جئت به من السحر ﴿فاجعل بيننا وبينك موعدا﴾ يوما معلوما ومكانا معلوما ﴿لا نخلفه﴾ أي: لا نخلف ذلك الوعد ﴿نحن ولا أنت﴾ وفوض تعيين الموعد إلى موسى إظهارا لكمال اقتداره ﴿مكانا سوى﴾ أي: مستويا ظاهرا ليظهر فيه الحق.

٥٩ ﴿قال موعدكم يوم الزينة...﴾ كان ذلك يوم عيد يتزينون فيه وقصد موسى ليجتمع الناس جميعا فتظهر الدعوة ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ ليكون الضوء غالبا فلا يشكوا في المعجزة.

٦٠ ﴿فجمع كيده...﴾ أي: جمع ما يكيد به من سحره وحيله، وجمع السحرة ﴿ثم أتى﴾ أي أتى الموعد.

٦١ ﴿قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا...﴾ قال ذلك لفرعون وملئه ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ ليستأصلكم به ﴿وقد خاب من افترى﴾ خسر وهلك من افترى على الله أي كذب كان.

٦٢/٦٣ ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم...﴾ أي السحرة لما سمعوا كلام موسى تناظروا وتشاوروا وتجاذبوا أطراف الكلام فيما بينهم ﴿وأسروا النجوى﴾ أي: تناجوا فيما بينهم سرا من موسى قائلين ﴿إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾ قالوا ذلك متأثرين بكلام فرعون، ومرددين لإذاعته والأرض هي أرض مصر ﴿بسحرهما﴾ الذي أظهراه ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ أي أنهما إن غلبا بسحرهما أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض وتفردا بذلك ودانت لهما الرياسة.

٦٤ ﴿فأجمعوا كيدكم...﴾ لكن عزمكم كلكم ﴿ثم ائتوا صفا﴾ ليكون أشد لهيبتهم ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ أي: من غلب. وهذا كله من قول السحرة بعضهم لبعض، وقيل: من قول فرعون لهم.

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا
كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا
قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ
لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

٦٥ ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي... ﴾ أنت أولاً ﴿وإما أن نكون﴾ نحن ﴿أول من ألقى﴾ ما يلقيه، والمراد إلقاء العصى على الأرض.

٦٦ ﴿قال...﴾ لهم موسى ﴿بل ألقوا﴾ أمرهم بالإلقاء أولاً لتكون معجزته أظهر، وإظهارًا لعدم المبالاة لسحرهم ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه﴾ توهم هو وتذلك يتوهم من رآها أنها ﴿تسعى﴾ أي: تتحرك بسرعة كالأفاعي.

٦٧ ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ أي: أحس بالخوف من أن يغلب.

٦٨ ﴿قلنا لا تخف...﴾ فمعك الحق ومعهم الباطل ﴿إنك أنت الأعلى﴾ أنت متصل بالقوة الكبرى وهم يخدمون مخلوقًا بشريًا فانيا مهما يكن طاغية جبارًا.

٦٩ ﴿وألق ما في يمينك...﴾ يعني العصا ﴿تلقف ما صنعوا﴾ فهو سحر من تدبير ساحر وعمله والساحر لا يفلح فهو شأن كل مبطل أمام القائم على الحق.

وألقى موسى.. ووقعت المفاجأة الكبرى.

٧٠ ﴿فألقي السحرة سجدا...﴾ لأنهم علموا أن فعل موسى ليس من قبيل السحر.

٧١ ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم..﴾ أي. هل صدقتم قوله واتبعتموه على دينه من غير إذن لكم بذلك ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ أي هو أسحركم وأعلاكم درجة في صناعة السحر، أو معلمكم وأستاذكم ﴿الذي علمكم السحر﴾ وفرعون كان يريد أن يدخل الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ من خلاف: هو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو عكسه ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ أي على جذوعها ﴿ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى﴾ أراد لتعلمن هل أنا شد عذابا لكم أم رب موسى.

ولكنه كان قد فات الأوان:

٧٢ ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات...﴾ لن نختارك على ما جاءنا به موسى ﴿والذي فطرنا﴾ أي خلقنا، وقيل هو قسم، أي: والله الذي فطرنا لن نؤثرك ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ أي: فاصنع ما أنت صانع ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ ولا سبيل لك علينا فيما بعدها.

٧٣ ﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا...﴾ التي سلفت منا من الكفر وغيره ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ ويغفر لنا الذي أكرهتنا عليه من عمل السحر في معارضة موسى ﴿والله خير وأبقى﴾ خير منك ثوابًا وأبقى منك عقابا.

٧٤ ﴿إنه من يأت ربه مجرما...﴾ أي يلقى الله يوم القيامة، وهو مجرم ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية ﴿إنه من يأت ربه مجرما﴾ قال النبي ﷺ [أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون، وأما الذين ليسوا من أهلها فإن النار تمسهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون، فتجعل الضبائر، فيؤتى بهم نهرًا يقال له الحياة أو الحيوان (فينبتون كما ينبت العشب في السيل).

٧٥/٧٦ ﴿ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات...﴾ مصدقًا به قد عمل الطاعات فهؤلاء لهم المنازل الرفيعة في ﴿جنات عدن﴾ وذلك الأجر ﴿جزاء من تزكى﴾ تطهر من الكفر والمعاصي الموجبة للنار.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ
ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾

وانتصر الحق فى الأرض كما يعرضه هذا المشهد.

٧٧ ﴿ولقد أوحينا إلى موسى...﴾ أن يخرج بعباد الله -بنى إسرائيل- ليلاً. فيضرب لهم طريقًا فى البحر يبسًا أي فى وسط البحر وهو بحر القلزوم (السويس) يابسًا وذلك أن الله تعالى أيبس لهم تلك الطريق حتى لم يكن فيها ماء ولا طين ﴿لا تخاف دركا﴾ أى آمنا من أن يدركهم العدو ﴿ولا﴾ أنت ﴿تخشى﴾ من فرعون أو من البحر.

٧٨ ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده...﴾ تبعهم ومعه جنوده ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ وقاد فرعون قومه إلى الضلال فى الحياة كما قادهم إلى الضلال في البحر.

وهنا يتوجه الخطاب إلى الناجين بالتذكير والتحذير:

٧٩/ ٨٢ ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم...﴾ لقد جاوزوا منطقة الخطر ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ وبشار إليها هنا وهى مواعدة لموسى -عليه السلام- بعد خروجهم من مصر ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ وهذه نعمة من الله ومظهرًا لعنايته بهم فى الصحراء الجرداء.

وإلى جانب التحذير والإنذار نفتح باب التوبة لمن يخطئ ويرجع:

﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾.

وهنا ينتهى مشهد النصر والتعقيب عليه فيسدل الستار حتى يرفع على مشهد المفاجأة الثانية إلى جانب الطور الأيمن:

٨٣ ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ وكانت المواعدة أن يوافى موسى وجماعة من وجوه قومه، فسار موسى بهم، ثم عجل من بينهم شوقًا إلى ربه، فقال الله له ما أعجلك؟ فرد عليه:

٨٤ ﴿قال هم أولاء على أثري...﴾ أى: هم بالقرب منى، واصلون بعدى ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ لتزداد رضا عنى بذلك.

٨٥ ﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك...﴾ أى ابتليناهم واختبرناهم وألقيناهم فى فتنة ومحنة ﴿وأضلهم السامري﴾ بما أوقعهم فيه من عبادة العجل الذى عمله لهم السامرى.

وينهى السياق موقف المناجاة... ليصور انفعال موسى..

٨٦ وعاد موسى غضبان أسفا ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا﴾ وقد وعدهم الله بالنصر ودخول الأرض المقدسة فى ظل التوحيد. ويؤنبهم فى استنكار ﴿أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي﴾ عندئذ يعتذرون:

٨٧ ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا...﴾ فلقد كان الأمر أكبر من طاقتنا! ﴿ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها﴾ وقد حملوا معهم أكداسًا من حلى المصريات كانت إعارة عند نسائهم فحملنها معهن. فهم يشيرون إلى هذه الأحمال.

ويقولون: لقد قذفناها تخلصًا منها لأنها حرام فأخذها السامرى فصاغ منها عجلاً ﴿فكذلك ألقى السامري﴾ ما معه، وصاغ لهم منه عجلاً ثم ألقى عليه قبضة من أثر الرسول. وهو جبريل.

معاني الكلمات:

فغشيهم: علاهم وغمرهم.

المن: مادة صمغية حلوة كالعسل

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ
يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ
إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا
إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

٨٨ ﴿فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار﴾ وسبب هذا الخوار لأنه عمل فيه خروقًا، إذا دخلت الريح في جوفه خار، ولم يكن فيه حياة. والخوار: صوت البقر. وفي بلاهة فكر وبلادة روح قالوا ﴿هذا إلهكم وإله موسى﴾ قالها السامري ﴿فنسي﴾ أي: فضل موسى ولم يعلم مكان إلهه.

ذلك فضلاً على وضوح الخدعة:

٨٩ ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا...﴾ والمقصود أنه حتى لم يكن عجلاً حيًا يسمع قولهم ويستجيب له على عادة العجول البقرية وغيرذلك لقد نصح لهم هارون وهو نبيهم كذلك، والنائب عن نبيهم المنفذ ونبههم إلى أن هذا ابتلاء فقال:

٩٠ ﴿يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري...﴾

﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾ أي لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه، وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه.

٩٢/٩٣ ﴿قال...﴾ موسى ﴿يا هارون ما منعك﴾ من اتباعي واللحوق بي عند أن وقعوا في هذه الضلالة ودخلوا في الفتنه ﴿ألا تتبعن أفعصيت أمري﴾ كيف خالفت أمري لك بالقيام لله ومنابذة من خالف دينه، وأقمت بين هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلها.

٩٤ ﴿قال يا بنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ كعقوبة لي منك. فإن لي عذرا هو ﴿إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل﴾ وذلك لأن هارون لو خرج لتبعه جماعة منهم، وتخلف مع السامري عند العجل آخرون، وربما أفضى ذلك إلى القتال بينهم ﴿ولم ترقب قولي﴾ واعتذر إليه بقوله (أن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني).

٩٥ ﴿قال فما خطبك يا سامري﴾ أي: ما شأنك؟ أي: ما الذي حملك على ما صنعت؟

٩٦ ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به..﴾ قيل: أراد أنه رأى جبريل على فرس فألقى في ذهنه أن يقبض قبضة من أثر فرسه، وأن ذلك الأثر لا يقع على جماد إلا صار حيا ﴿فنبذتها﴾ فطرحتها في الحلى المذابة المسبوكة على صورة العجل ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ أي: زينت.

ورغم تكاثر الروايات حول قول السامري هذا، فإن القرآن لا يقرر هنا حقيقة ما حدث، إنما هو يحكي قول السامري مجرد حكاية. ويقول الأستاذ: سيد قطب يرحمه الله (ونحن نميل إلى اعتبار هذا عذرًا من السامري وتملصًا من تبعة ما حدث). وعلى أية حال فقد أعلنه موسى - عليه السلام - بالطرد:

٩٧ ﴿قال فاذهب...﴾ أي: فاذهب من بيننا، وأخرج عنا، فإن لك ما دمت حيا ﴿أن تقول لا مساس﴾ أمر موسى أن ينفى السامري عن قومه وأمر بني إسرائيل ألا يخالطوه عقوبة له ﴿وإن لك موعدا لن تخلفه﴾ أي: لن يخلفك الله ذلك الموعد، وهو يوم القيامة ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا﴾ الذي دمت وأقمت على عبادته ﴿لنحرقنه﴾ أي بالنار ﴿ثم لننسفنه في اليم نسفا﴾ لنذرينه في البحر ليذهب به الريح.

٩٨ ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو...﴾ لا هذا العجل الذي فتنتكم به السامري ﴿وسع كل شيء علما﴾ وسع علمه كل شيء.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

الدرس الثانى: (مشاهد القيامة) من الآية (٩٩) إلى الآية (١٣٥)
مدة الحفظ: ثلاثة أيام.

٩٩ ﴿كذلك نقص عليك...﴾ كما قصصنا عليكم خبر موسى كذلك نقص عليك ﴿من أنباء ما قد سبق﴾ الحوادث الماضية فى الأمم الخالية ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾ أى القرآن.

١٠٠ ﴿من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا﴾ يحمل إثمًا عظيمًا وعقوبة ثقيله بسبب إعراضه.

١٠١ ﴿خالدين فيه...﴾ فى جزائه وهو النار ﴿وساء لهم يوم القيامة حملا﴾ أى: بئس الحمل يوم القيامة.

١٠٢ ﴿يوم ينفخ فى الصور...﴾ المراد نفخة البعث التى يحشر الناس بعدها للحساب ﴿ونحشر المجرمين﴾ هم المشركون والعصاة ﴿زرقا﴾ لأن سواد العين يتغير بالعطش إلى الزرقة.

١٠٣ ﴿يتخافتون بينهم...﴾ يتساررون، أى: يقول بعضهم لبعض سرًا ﴿إن لبثتم إلا عشرا﴾ عشر ليال، يستقصرون مدة مقامهم فى الدنيا، أو فى القبور.

١٠٤ ﴿نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة...﴾ أى: أعدلهم قولاً، وأكملهم رأيا ﴿إن لبثتم﴾ ويدل على شدة الهول أى إنما كان لبثكم فيها قليلاً.

١٠٥ ﴿ويسألونك عن الجبال...﴾ عن حالها يوم القيامة ﴿فقل ينسفها ربى نسفا﴾ يقلعها قلعا من أصولها، بتفجيرها حتى تطير هكذا وهكذا.

١٠٦ ﴿فيذرها﴾ فيجعلها ﴿قاعا صفصفا﴾ كالأرض الملساء بلا نبات ولا بناء.

١٠٧ ﴿لا ترى فيها عوجا...﴾ أى انخفاض ﴿ولا أمتا﴾ أى ارتفاع كالمكان المرتفع.

١٠٨ ﴿يومئذ يتبعون الداعي..﴾ يتبع الناس داعى الله إلى المحشر ﴿لا عوج له﴾ فلا يقدرون على أن يزيغوا عنه، بل يسرعون إليه ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ سكنت رهبة وخشية ﴿فلا تسمع إلا همسا﴾ والهمس: الصوت الخفى.

١٠٩ ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة...﴾ من شافع كائنا من كان ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ أى: إلا شفاعة من أذن الرحمن له أن يشفع ﴿ورضي له قولا﴾.

١١٠ ﴿يعلم ما بين أيديهم...﴾ من أمر الساعة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا ﴿ولا يحيطون به علما﴾ لا تحيط علومهم بذاته ولا بصفاته، ولا بمعلوماته.

١١١ ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم...﴾ أى: ذلت وخضعت ﴿وقد خاب من حمل ظلما﴾ أى: خسر من حمل شيئا من الظلم، وقيل: هو الشرك.

١١٢ ﴿ومن يعمل من الصالحات..﴾ أى الأعمال الصالحة ﴿وهو مؤمن﴾ بالله ﴿فلا يخاف ظلما﴾ من أن يعاقب بغير ذنب ﴿ولا هضما﴾ أى النقص من ثواب حسناته.

١١٣ ﴿وكذلك أنزلناه...﴾ أى القرآن بلغة العرب ليفهموه وبينا فيه ضروبا من الوعيد تخويفا وتهديدا كى يخافوا الله. فيتجنبوا معاصيه، ويجذروا عقابه ﴿أو يحدث لهم ذكرا﴾ أى تنشئ مواعظ القرآن فى قلوبهم اعتبارًا واتعاظا، وقيل: ورعا.

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ
﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

١١٤ ﴿فتعالى الله الملك الحق...﴾ أى تنزه وتقدس الملك الحق الذى هو حق ووعده حق، ووعيده حق، ورسله حق والجنة حق والنار حق وكل شئ منه حق وعدله تعالى أن لا يعذب أحدًا قبل الإنذار وبعث الرسل ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ كان النبى ﷺ يبادر جبريل، فيترأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصًا منه على ما كان ينزل عليه منه. فنهاه الله عن ذلك، ومثله قوله تبارك وتعالى فى سورة القيامة ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ وقيل لمعنى: ولا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله ﴿وقل رب زدني علما﴾ أى: سل ربك زيادة العلم.

ثم تجئ قصة آدم، وقد نسى ما عهد الله به إليه:

١١٥ ﴿ولقد عهدنا إلى آدم...﴾ أمرناه ووصيناه، وهو نهيه عن الأكل من الشجرة ﴿فنسي﴾ ما عهد الله به إليه ﴿ولم نجد له عزما﴾ عندما وسوس إليه الشيطان فلانت عريكته، وفتر عزمه، وأدركه ضعف البشر.

١١٦ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...﴾ يذكر تعالى تشريف آدم وتكريمه وما فضله على كثير ممن خلق تفضيلا ﴿فسجدوا إلا إبليس﴾ أى امتنع واستكبر ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ يعني حواء عليهما السلام ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ فتتعب فى حياتك الدنيا فى الأرض ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾ لك فى الجنة تمتعا بأنواع المعايش وتنعما بأصناف النعم ﴿وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ لا تعطش في الجنة، ولا يؤذيك الحر.

١٢٠ ﴿فوسوس إليه الشيطان﴾ قال لهما بنوع من الخفية ولم يزل بهما حتى أكلا من الشجرة عندما دخل الشيطان بإغوائه بالحياة الطويلة، وإلى الملك الطويل ﴿قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ أى لا يزول ولا ينقضى وكان ذلك كذب من إبليس ليستدرجهما إلى

١٢١ معصية الله ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما﴾ إنها مواضع العفة في جسديهما ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ قال مجاهد: يرقعان كهيئة الثوب ليستر عورتهما وقيل: جعل يلصقان عليهما من ورق التين ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ أى: عصاه بالأكل من الشجرة فضل عن الصواب.

١٢٢ ﴿ثم اجتباه ربه...﴾ أى: اصطفاه وقربه، بعد أن تاب من المعصية ﴿فتاب عليه وهدى﴾ وهداه إلى التوبة.

١٢٣ ﴿قال اهبطا منها جميعا...﴾ انزلا من الجنة ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ فى أمر المعاش ونحوه ﴿فإما يأتينكم منى هدى﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل﴾ فى الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ فى الآخرة.

١٢٤ ﴿ومن أعرض عن ذكري...﴾ عن ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ عيشًا ضيقا ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ أى مسلوب البصر.

١٢٥ ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا﴾ فى الدنيا.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ
وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ
﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى
ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ
لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن
قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

١٢٦ ﴿قال كذلك...﴾ أى مثل ذلك فعلت أنت ﴿أتتك آياتنا فنسيتها﴾ اعرضت عنها وتركتها، ولم تنظر فيها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ تترك فى العمى والعذاب فى النار.

١٢٧ ﴿وكذلك نجزي من أسرف...﴾ الذى ينهمك فى الشهوات المحرمة ﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾ بل كذب بها ﴿ولعذاب الآخرة أشد﴾ أى: أفظع ﴿وأبقى﴾ أى: أدوم وأثبت لأنه لا ينقطع.

ويبدأ السياق فى جولة حول مصارع الغابرين:

١٢٨ ﴿أفلم يهد لهم...﴾ أفلم يتبين لأهل مكة خبر من ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم﴾ يتقلبون فى ديارهم، أو يمشون فى مساكن القرون الذين أهلكناهم ﴿إن فى ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أى: لذوى العقول.

١٢٩ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك..﴾ وهى وعد الله سبحانه بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الدار الآخرة..

١٣٠ ﴿فاصبر على ما يقولون...﴾ لا تحتفل بهم ﴿وسبح بحمد ربك﴾ وهى الصلوات الخمس ﴿قبل طلوع الشمس﴾ إشارة إلى صلاة الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ فإنه إشارة إلى صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ العشاء ﴿فسبح﴾ أى: فصل ﴿وأطراف النهار﴾ أى: المغرب والظهر ﴿لعلك ترضى﴾ ما ترضى به نفسك.

١٣١ ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم...﴾ لا تطل نظر عينيك (إلى ما أمددناهم به من متع الحياة) ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ زينتها وبهجتها ﴿لنفتنهم فيه﴾ ابتلاء منا لهم ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ خير مما رزقهم فى الدنيا على كل حال.

١٣٢ ﴿وأمر أهلك بالصلاة..﴾ فأول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيت مسلم ﴿واصطبر عليها﴾ على إقامتها كاملة ﴿لا نسألك رزقا﴾ أى لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ﴿نحن نرزقك﴾ ونرزقهم ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أى: العاقبة المحمودة، وهى الجنة لأهل التقوى.

١٣٣ ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه...﴾ كما كان يأتى من قبله من الأنبياء. أى من الآيات التي قد اقترحناها عليه ﴿أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى﴾ التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة.

١٣٤ ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله...﴾ أى: من قبل بعثة محمد ﷺ ﴿لقالوا﴾ يوم القيامة ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ أى: هلا كنت أرسلت إلينا رسولاً فى الدنيا ﴿فنتبع آياتك﴾ التي يأتى بها الرسول ﴿من قبل أن نذل﴾ بالعذاب فى الدنيا ﴿ونخزى﴾ بدخول النار.

١٣٥ ﴿قل كل متربص فتربصوا...﴾ أى: قل لهم يا محمد: كل واحد منا ومنكم متربص، أى: منتظر لما يؤول إليه الأمر، فتربصوا أنتم ﴿فستعلمون﴾ عن قريب ﴿من أصحاب الصراط السوي﴾ أى: فستعلمون في العاقبة من هو على الحق منى ومنكم ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة ونزع عن الغواية.

سورة الأنبياء

الدرس الأول:

(جولة فى ارجاء الكون)

من الآية (١) إلى الآية (٣٥)

مدة الحفظ: ثلاثة أيام.

والسياق فى هذا الدرس يبدأ بمطلع قوي الضربات، يهز القلوب هزا وهو يلفتها إلى الخطر القريب وهى غافلة عنه:

١ ﴿اقترب للناس حسابهم...﴾ أى: وقت يوم القيامة، فما بقى من الدنيا أقل مما مضى ﴿وهم في غفلة معرضون﴾ وذلك لاشتغالهم بمتع الحياة غير متأهبين لها.

٢ ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث...﴾ وهو القرآن المنزل ﴿لاهية قلوبهم﴾ وقد كانوا يتناجون فيما بينهم ويتآمرون خفية ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ يقولون عن رسول الله ﷺ ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ لا يتميز عنكم بشئ ﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ فكيف تجيبونه وقد جاء به هو السحر!!

عند ذلك وكل الرسول ﷺ أمره وأمرهم إلى الله المطلع على كل نجوى:

٤ ﴿قال ربي يعلم القول في السماء والأرض...﴾ فهو عالم بما تناجيتم به ﴿وهو السميع﴾ لكل ما يسمع ﴿العليم﴾ بكل معلوم.

٥ ﴿بل قالوا أضغاث أحلام...﴾ أى أن الذى يأتى به هو الرؤيا الكاذبة ﴿بل افتراه﴾ من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل ﴿بل هو شاعر﴾ وفى هذا التردد دليل أنهم جاهلون بحقيقة ما جاء به ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ أى: كما أرسل موسى بالعصا وغيرها، وصالح بالناقة.

٦ ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها...﴾ وسنة الله أن المكذبين عندما يطلبون معجزة ولا يؤمنوا بعدها ينزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة ﴿أفهم يؤمنون﴾ فكيف يؤمن هؤلاء لو أعطوا ما اقترحوا؟

٧ ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم...﴾ ولم نرسل ملائكة ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وأهل الذكر: هم أهل العلم بهذا الأمر، فاسألوهم إن كنتم لا تعلمون أن رسل الله كانوا من البشر.

٨ ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام...﴾ فالأنبياء كذلك لا يستغنون عن الطعام والشراب ﴿وما كانوا خالدين﴾ بل يموتون.

٩ ﴿ثم صدقناهم الوعد...﴾ وهى أيضا سنته تعالى فى إنجائهم ومن معهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ وإهلاك المسرفين الظالمين المكذبين.

فهى كذلك سنة جارية، كسنة اختيارهم، وهذه السنة يخوف الله بها المشركين:

١٠ ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا...﴾ يعنى القرآن ﴿فيه ذكركم﴾ أى: فيه شرفكم ﴿أفلا تعقلون﴾ أن الأمر كذلك فتؤمنوا به تحصيلا لذلك الفضل. أن معجزة القرآن معجزة مفتوحة للأجيال، وليست كالخوارق المادية التى تنقضى فى جيل واحد، ولا يتأثر بها إلا الذين يرونها من ذلك الجيل.

معانى الكلمات:

مُحْدَث: تنزيله بالوحى

وَأَسَرُّوا النَّجْوَى: بالغوا فى إخفاء تناجيهم

فيه ذِكْرُكُمْ: موعظتكم، أو شرفكم وصيتكم.

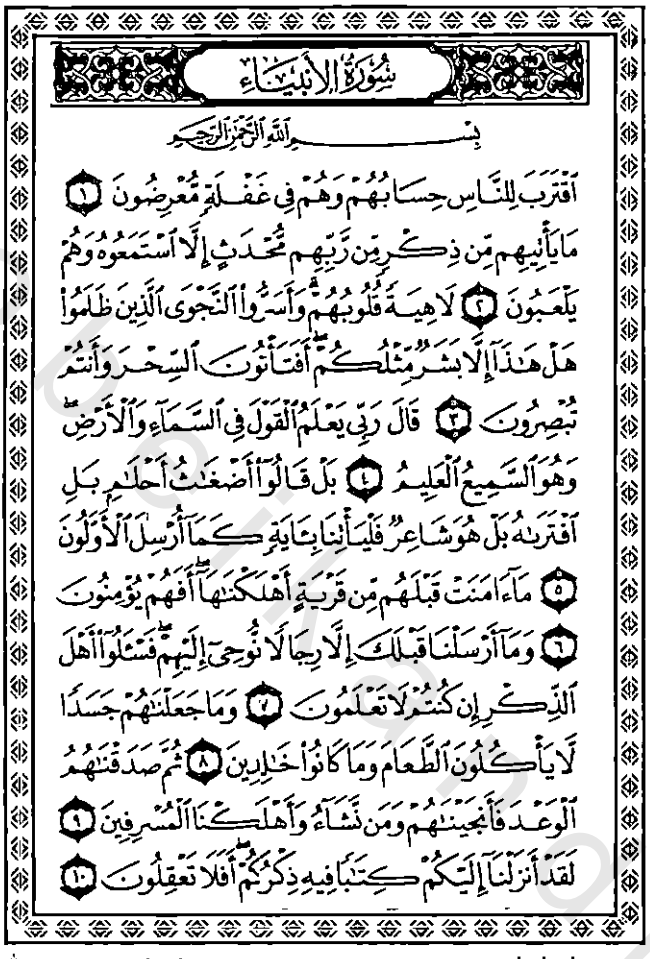
سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ
افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ
عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ
وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

١١ ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة...﴾ والقصم: الهلاك، فالدمار يحل بالديار ﴿وأنشأنا بعدها قوما آخرين﴾ أى قوما ليسوا منهم. وننظر فنشهد حركة القوم في تلك القرى وبأس الله يأخذهم:

١٢ ﴿فلما أحسوا بأسنا...﴾ فرأوا عذابنا ﴿إذا هم منها يركضون﴾ يسارعون بالخروج من القرية ركضا وعدوا، وقد تبين لهم أنهم مأخوذون ببأس الله فقيل لهم:

١٣ ﴿لا تركضوا...﴾ لا تهربوا ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ أى: إلى نعمكم التى كانت سبب بطركم وكفركم ﴿ومساكنكم﴾ وارجعوا إلى مساكنكم التى كنتم تسكنونها وتفتخرون بها ﴿لعلكم تسألون﴾ وهذا على طريقة التهكم والتوبيخ لهم.

١٤ ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ اعترفوا على أنفسهم ولكن ماذا يجديهم الاعتراف حينئذ؟ ولكن فات الأوان.

١٥ ﴿فما زالت تلك دعواهم...﴾ أى: يدعون بها ويرددونها ﴿حتى جعلناهم حصيدا﴾ كما يحصد الزرع بالمنجل ﴿خامدين﴾ ميتون لا حراك بهم. وكان منذ لحظة يموج بالحركة.

١٦ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ لم نخلقها عبثا ولا باطلا.

١٧ ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا...﴾ قيل: اللهو الزوجة والولد ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ من عندنا ومن جهة قدرتنا لا من عندكم ﴿إن كنا فاعلين﴾ بل كل أفعالنا حق لا عبث فيه.

١٨ ﴿بل نقذف بالحق على الباطل...﴾ وكأنما الحق قذيفة فى يد القدرة، تقذف به على الباطل، فيشق دماغه ﴿فيدمغه﴾ فإذا هو هالك ذاهب ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ أى: العذاب فى الآخرة بسبب وصفكم لله بما يتقدس عنه.

١٩ ﴿وله من في السموات والأرض...﴾ وهذا عرض لنموذج من نماذج الطاعة والعبادة، فهم كلهم عبيدا وملكا ﴿ومن عنده﴾ يعنى: الملائكة ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ لا يتعاظمون ولا يأنفون عن عبادة الله سبحانه والتذلل له ﴿ولا يستحسرون﴾ أى: لا يتعبون.

٢٠ ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ لا يضعفون عن ذلك ولا يسأمون.

٢١ ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض...﴾ فليس الأمر كذلك فإن ما اتخذوها آلهة بمعزل عن ذلك لا تستطيع إحياء أحد ولا إماتة أحد.

٢٢ ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا...﴾ أى: لبطلتا ووجه الفساد أن ذلك يستلزم أن يكون كل واحد منهما قادر على الاستبداد بالتصرف، فيقع عند ذلك التنازع والاختلاف، ويحدث بسببه الفساد.

٢٣ ﴿لا يسأل عما يفعل...﴾ لقوة سلطانه وعظيم جلاله ﴿وهم﴾ العباد ﴿يسألون﴾ عما يفعلون.

٢٤ ﴿قل هاتوا برهانكم...﴾ على دعوى أنها آلهة ﴿هذا ذكر من معي وذكر من قبلي﴾ فانظروا هل فى واحد منها أن الله أمر باتخاذ إله سواه ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ لكونهم جاهلين للحق ﴿فهم معرضون﴾ عن قبول الحق.

٢٥ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا...﴾ وفى هذا تقرير لأمر التوحيد.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا سُبۡحَٰنَهُۥۚ
بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم
بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ
وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ
﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ
جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ
يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ
ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ
ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ
ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

ثم يعرض السياق لدعوى المشركين من العرب أن لله ولدا:

٢٦ ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا...﴾ هؤلاء القائلون من مشركي العرب في صورة بنوة الملائكة لله. وعند مشركي اليهود في صورة بنوة العزير لله. وعند مشركي النصارى في صورة بنوة المسيح لله. وكلها من انحرافات الجاهلية ﴿سبحانه﴾ تنزيها له عن ذلك ﴿بل عباد مكرمون﴾ مكرمون بكرامته لهم مقربون عنده وهم الملائكة.

٢٧ ﴿لا يسبقونه بالقول...﴾ أي: لا يقولون شيئا حتى يقول، أو يأمرهم به ﴿وهم بأمره يعملون﴾ عاملون بما يأمرهم الله به.

٢٨ ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم...﴾ ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ أن يشفع الشافعون له، وهو رضا الله تعالى عنه، وهم أهل لا إله إلا الله ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ يخشونه حق خشيته لا يزالون منه خائفين.

٢٩ ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه﴾ أي: من الملائكة ﴿فذلك نجزيه جهنم﴾ كما نجزي غيره من المجرمين.

٣٠ ﴿أولم ير الذين كفروا...﴾ ألم يعلموا ولم يتفكروا ﴿أن السموات والأرض كانتا رتقا﴾ أي كانت السموات واحدة فتقت، وكانت الأرضون أرض واحدة ففتقت، ﴿ففتقناهما﴾ أي: فصلنا بعضهما من بعض ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ والمعنى: أن الماء سبب حياة كل شئ حي في الأرض ﴿أفلا يؤمنون﴾ مع وجود ما يقتضيه من الآيات الربانية.

٣١ ﴿وجعلنا في الأرض رواسي...﴾ جبالا ثوابت ﴿أن تميد بهم﴾ لئلا تتحرك وتضطرب بهم ﴿وجعلنا فيها﴾ أي: في الرواسي، أو في الأرض ﴿فجاجا﴾ هي المسالك، وقال الزجاج: كل مخترق بين جبلين فهو فج ﴿سبلا﴾ طرقا نافذة ﴿لعلهم يهتدون﴾ إلى مصالح معاشهم.

٣٢ ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا...﴾ قيل: محفوظا بالنجوم من الشيطان ﴿وهم عن آياتها معرضون﴾ آياتها كالشمس والقمر ونحوهما لا يتدبرون فيها.

٣٣ ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار...﴾ أي هذا في ظلامه وسكونه وهذا بضيائه وأنسه ﴿كل في فلك يسبحون﴾ أي يدورون. فهو يسير في فلكه كالسابح في الماء.

٣٤ ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد..﴾ أي: دوام البقاء في الدنيا ﴿أفإن مت﴾ بأجلك المحتوم ﴿فهم الخالدون﴾ أي: إن مت فهم يموتون أيضا، لا شماتة في الموت.

٣٥ ﴿كل نفس ذائقة الموت...﴾ أنه الموت نهاية كل حي، وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض. ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ عن ابن عباس قال: نختبركم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال، أي لننظر كيف شكركم وصبركم ﴿وإلينا ترجعون﴾ لا إلى غيرنا فنجازيكم بأعمالكم.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ
ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ
ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ
لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى
ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

الدرس الثانى:
(استقبال المشركين للرسول ﷺ)
من الآية (٣٦) إلى الآية (٤٧)
مدة الحفظ: يوم واحد.

٣٦ ﴿وإذا رآك الذين كفروا...﴾ يعنى: المستهزئين من المشركين ﴿إن يتخذونك إلا هزوا﴾ سخرية ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أى: يعيب آلهتكم ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ فهم أحق بالعيب لهم، لأنهم كافرون بتوحيد الله.

ثم هم يستعجلون بما ينذرهم به الرسول ﷺ:

٣٧ ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ طبيعته التعجل فى الأمور ﴿سأريكم آياتي﴾ أى ستحل بكم نقماتى ﴿فلا تستعجلون﴾ فإنه نازل بكم لا محالة.

٣٨ ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ صادقين فى وعدكم - والخطاب للمسلمين- أى الوعد الذى تتلونه فى القرآن، وتخبروننا به أنه من عند الله.

فها هو ذا القرآن يرسم مشهداً من عذاب الآخرة ويحذرهم ما أصاب الذين قبلهم:

٣٩/٤١ ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار﴾ ها هم أولاء تنوشهم النار من كل جانب فيحاولون أن يكفوا النار عن وجوههم وعن ظهورهم، ولكنهم لا يستطيعون ردها، ولا هم يؤخرون عنها ولا هم يمهلون إلى أجل قريب. والسنة التى لا تتخلف هى مصير المستهزئين بالرسل فهو معروف وشهدت به مصارعهم.

أم إن لهم من يرعاهم بالليل والنهار؟

٤٢ ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن...﴾ من يحفظكم مما يريد الرحمن إنزاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ فلا يذكرونه ولا يخطرونه ببالهم، بل يعرضون عنه والسؤال هنا للإنكار، وللتوبيخ على غفلتهم عن ذكر الله وهو الذى يكؤهم بالليل والنهار.

ثم يعيد عليهم السؤال فى صيغة أخرى:

٤٣ ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا...﴾ المعنى: بل ألهم آلهة تمنعهم من عذابنا ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ فهم عاجزون فكيف يستطيعون أن ينصروا غيرهم ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ اى: ولاهم يجارون من عذابنا.

وبعد هذا الجدل التهكمى، يضرب السياق عن مجادلتهم ويكشف عن علة لحاجتهم:

٤٤ ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم...﴾ وهم أهل مكة ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ فاغتروا بذلك وظنوا أنهم لا يزالون كذلك ﴿أفلا يرون﴾ أى أفلا ينظرون فيرون ﴿أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ وهذا المشهد المعروض الذى يقع كل يوم فى جانب من جنبات الأرض حيث تطوى رقعة الدولة المتغلبة وتنحسر وتتقلص: ﴿أفهم الغالبون﴾ أى: فكيف يكونون غالبين لنا بعد نقصنا لهم أرضهم من أطرافها حتى نحصرهم فى بلدهم ثم نفتحها عليك وننقض أمرهم.

معانى الكلمات:

لا يكفون: لا يمنعون ولا يدفعون

بغتة: فجأة

فتبهتهم: تحيرهم وتدهشهم

فحاق: أحاط.

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ
﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ
ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ
مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ
أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ۖ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ
﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

وهنا يؤمر الرسول ﷺ أن يلقى كلمة الإنذار:

٤٥ ﴿قل إنما أنذركم بالوحي...﴾ أخوفكم وأحذركم بالقرآن وذلك شأني وما بعثني الله به ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ فليحذروا أن يكونوا هم الصم الذين لا يسمعون.

٤٦ ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك..﴾ أي أقل شئ من العذاب ﴿ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ فإنهم يولون ويدعون على أنفسهم بالويل والهلاك ويعترفون عليها بالظلم.

٤٧ ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة...﴾ الموازين العادلة لوزن أعمالهم في يوم القيامة ﴿فلا تظلم نفس شيئا﴾ أي: إنها موازين عادلة عدلاً مطلقا ﴿وإن كان مثقال حبة من خردل﴾ أي إن كان العمل غاية الخفة والحقارة ﴿أتينا بها﴾ أي أحضرناهم من حيث كانت ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ نتقن الحساب فلا يفوتنا شئ.

الدرس الثالث
(أمة الرسل)
من الآية (٤٨) إلى الآية (٩٢)
مدة الحفظ أربعة أيام.

٤٨ ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان...﴾ وهو التوراة لأن فيها الفرق بين الحلال والحرام ﴿وضياء﴾ أي فيها الهداية ﴿وذكرا﴾ يتعظون بما فيها.

٤٩ ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب...﴾ لأن الخشية تلازم التقوى ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون وجلون.

٥٠ ذلك شأن موسى وهارون ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به، كثير البركة والخير ﴿أفأنتم له منكرون﴾ أي: كيف تنكرون كونه منزلا من عند الله مع اعترافكم بأن التوراة منزلة من عنده؟

٥١ ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل...﴾ آتيناه رشده وكنا عالمين بحاله وباستعداده لحمل الأمانه.

٥٢ ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل﴾ استنكر أن يعكفوا على عبادتها فكان جوابهم وحجتهم أن:

٥٣ ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ وهو جواب يدل على التحجر العقلي.

٥٤ ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾

وعندما واجههم إبراهيم بهذه الطلاقة في التقدير، وبهذه الصراحة في الحكم، راحوا يسألون:

٥٥ ﴿قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ وهو سؤال المزعزع العقيدة، الذي لا يطمئن إلى ما هو عليه فأما إبراهيم فه مستيقن واثق عارف بربه:

٥٦ ﴿قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن...﴾ أي خلقهن وأبدعهن ﴿وأنا على ذلكم﴾ على ذلك الأمر ﴿من الشاهدين﴾ أي العالمين به المبرهنين عليه.

ثم يعلن إبراهيم لمن كان يواجههم من قومه بهذا الحوار:

٥٧ ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم...﴾ قال ذلك سرًا وقيل أنه سمعه رجل منهم ويبدوا أنهم كانوا مطمئنين إلى أنه لن يستطيع لآلهتهم كيدًا. فتركوه

معاني الكلمات:
مشفقون: خائفون حذرون.

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

٥٨ ﴿فجعلهم جذاذا...﴾ قطعا، بتكسير تلك الأصنام ﴿إلا كبيرا لهم﴾ أى: للأصنام ﴿لعلهم إليه﴾ أى: إلى إبراهيم ﴿يرجعون﴾ فيحاجهم بما سيأتى فيجحهم.
ولكنهم لم يسألوا أنفسهم ولا كبير أصنامهم بل:
٥٩ ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا...﴾ قالوا هذه المقالة عندما رجعوا من عيدهم. عندئذ تذكر الذين سمعوا إبراهيم:
٦٠ ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ قال هذا بعضهم مجيبا للمستفهمين بأن الفتى هو إبراهيم هو الذى يعيب آلهتهم.
٦١ ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس...﴾ ليكون ذلك حجة عليه يستحلون بها منه ما قد عزموا على أن يفعلوه به ﴿لعلهم يشهدون﴾ فيحضرون عقابه.
٦٢ ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾ فهم ما يزالون يصرون على أنها آلهة وهى مهشمة!!
٦٣ ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ وآلهتكم واضح فى هذا الجواب الساخر ولقد هزهم هذا التهكم قد هزهم هزا.
٦٤ ﴿فرجعوا إلى أنفسهم...﴾ أى رجع بعضهم إلى بعض ﴿فقالوا إنكم أنتم الظالمون﴾ ظالمين لأنفسهم بعبادة هذه الجمادات.
٦٥ ﴿ثم نكسوا على رءوسهم...﴾ رجعوا إلى جهلهم وعنادهم ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾.

ومن ثم يجبههم إبراهيم بعنف وضيق على غير عادته وهو الصبور الحليم:
٦٦/٦٧ ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم (٦٦) أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ وهى قولة يظهر فيها ضيق الصدر، وغيظ النفس.
وأخذتهم العزة بالأثم كما تأخذ الطغاة دائما:
٦٨ ﴿قالوا حرقوه﴾ أى: حرقوا إبراهيم ﴿وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾ أى: انصروها بالانتقام من هذا الذى فعل بها ما فعل.
ولكن كلمة أخرى قد قيلت.. فأبطلت كل قول:
٦٩ ﴿قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم﴾ فكانت بردا وسلاما على إبراهيم... ولا نسأل كيف؟ فالذى قال للنار كونى حارقة هو الذى قال لها: كونى بردا وسلاما.
٧٠ ﴿وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين﴾ خسارة ما بعدها خسارة، هكذا على وجه الإطلاق.
٧١ ﴿ونجيناه ولوطا...﴾ من أرض العراق، ولوط ابن أخى إبراهيم ﴿إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين﴾ وهى أرض بيت المقدس، مباركة لكثرة خصبها وثماها وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء، منها بعث الله أكثر الأنبياء.
٧٢ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة...﴾ النافلة: الزيادة، وكان سأل الله أن يهب له ولدا، فوهب له إسحاق، ثم وهب لإسحاق يعقوب من غير دعاء ﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ وكل واحد من هؤلاء الأربعة: إبراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله تاركا لمعاصيه.

معانى الكلمات:
نكسوا: رجعوا
نافلة: عطية أو زيادة عما سأل.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ
ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا
عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ
نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ۖ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ
فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

٧٣ ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا...﴾ أي: رؤساء يقتدى بهم في الخيرات ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ أي: يفعلوا الطاعات ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ فاعلين لما تأمرهم به، تاركين مانهاهم عنه.

٧٤ ﴿ولوطا آتيناه حكما وعلما...﴾ الحكم: النبوة، والعلم المعرفة بأمر الدين ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ وهي إتيان الفاحشة مع الذكور جهرة وبلا حياء ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ أي: خارجين عن طاعة الله.

٧٥ ﴿وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾ ... وكأنما الرحمه مأوى وملاذ يدخل الله فيها من يشاء، فإذا هو آمن ناعم مرحوم.

٧٦ ﴿ونوحا إذ نادى من قبل...﴾ أي من قبل هؤلاء الأنبياء المذكورين، دعا الله بإهلاك الظالمين من قومه ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ أي من الغرق بالطوفان، والمراد بأهله: المؤمنون منهم.

٧٧ ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا...﴾ منعناه من القوم أن ينالوا بشئ من الأذى ﴿إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾ أي لم نترك منهم أحدًا.

ثم يفصل بعض الشئ في حلقة من قصة داود وسليمان:

٧٨ ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث...﴾ قيل زرعًا، وقيل: كرما ﴿إذ نفشت فيه﴾ أي: تفرقت وانتشرت فيه، أي: فأكلت الشجر وأتلفته ﴿غنم القوم﴾ والنفش: أن تنتشر الغنم بالليل من غير راع ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ أي: حاضرين.

٧٩ ﴿ففهمناها سليمان...﴾ كان حكم داود وحكم سيمان في القضية اجتهادًا منهما. وكان الله حاضرًا حكمهما، فألهم سليمان حكمًا أحكم، وفهمه ذلك الوجه وهو أصوب. لقد اتجه داود في حكمه إلى مجرد التعويض لصاحب الحرث. وهذا عدل فحسب.

ولكن حكم سليمان تضمن مع العدل البناء والتعمير (يدفع الغنم إلى صاحب الحرث فينتفع بها، ويدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه حتى يعود كما كان. ثم يعيد كل منهما إلى صاحبه ما تحت يده) وهذا العدل الحي الإيجابي هو فتح من الله وإلهام يهبه من يشاء.

- وكان داود قد حكم في البداية لصاحب الحرث أن يأخذ الغنم في مقابل حرثه- ولقد أوتى داود وسليمان كلاهما الحكمة والعلم ﴿وكلا آتينا حكما وعلما﴾ فكان قضاء سليمان الأصوب. لأنه من نبع الإلهام ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن﴾ كان إذا سبح سبحت الجبال معه ﴿والطير﴾ يسبحن معه كذلك ﴿وكنا فاعلين﴾ يعني ما ذكر من التفهيم، وإيتاء الحكم والتسخير.

٨٠ ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم...﴾ وهي الدروع ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾ لتقيكم من حربكم، أو من وقع السلاح فيكم ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ لهذه النعمة التي أنعمنا بها عليكم؟

٨١ ﴿ولسليمان الريح...﴾ أي: وسخرنا له الريح ﴿عاصفة﴾ أي: شديدة الهبوب ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ وهي أرض الشام.

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا
دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ
وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ
مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا
لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ
وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢ ﴿ومن الشياطين...﴾ أي: وسخرنا من الشياطين ﴿من يغوصون له﴾ في البحار، ويستخرجون منها ما يطلبه منهم، والغواص: الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ أي: سوى ذلك. يراد بذلك المحاريب والتماثيل، وغير ذلك مما يسخرهم فيه. وكان الله لهم حافظا ﴿وكنا لهم حافظين﴾ أي: لأعمالهم أو حافظين من أن يهربوا أو يتمنعوا.

والآن نجئ إلى الابتلاء بالضراء في قصة أيوب -عليه السلام-

٨٣ ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر...﴾ شدة المرض في بدنه وهلاك أهله ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ فأخبر الله سبحانه باستجابته لدعائه.

٨٤ ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر..﴾ أي: شفاه الله مما كان به ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ قيل: تركهم الله عز وجل له، وأعطاه مثلهم في الدنيا وقد كان مات أهله جميعا إلا إمرأته، فأحياهم الله في أقل من طرف البصر. وقيل: ولد له ضعف الذين أماتهم الله ﴿رحمة من عندنا﴾ لرحمتنا له ﴿وذكرى للعابدين﴾ ليصبروا كما صبر. لأن العابدين معرضون للابتلاء والبلاء والأمر جد لا لعب.

بعد ذلك يشير السياق مجرد إشارة إلى إسماعيل وإدريس وذي الكفل:

٨٥ ﴿وذا الكفل...﴾ الصحيح أنه رجل من بني إسرائيل كان لا يتورع عن شئ من المعاصي، فتاب فغفر الله له، ليس بنبي، وقال جماعة هو نبي ﴿كل من الصابرين﴾ أي كل واحد من هؤلاء من الصابرين على القيام بما كلفهم الله به.

٨٦ ﴿وأدخلناهم في رحمتنا...﴾ أي: في الجنة، أو في النبوة.

٨٧ ﴿وذا النون...﴾ وهو يونس ابن متى وهو الذي أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل ﴿إذ ذهب مغاضبا﴾ أي: ذهب مغاضبا لربه، وقيل: مغاضبا لقومه ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ قيل: معناها أنه وقع في ظنه أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته. وقيل المعنى: ظن أن الله لن يُقدر عليه العقوبة ﴿فنادى في الظلمات﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وكان نداؤه: هو قوله ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته.

٨٨ ﴿ونجيناه من الغم...﴾ بإخراجنا له من بطن الحوت، قذفه إلى الساحل ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ أي نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم، وما أعددناه لهم من الرحمة.

٨٩ ﴿رب لا تذرني فردا...﴾ أي: منفردا وحيدا لا ولد لي ﴿وأنت خير الوارثين﴾ فأنت حسبي إن لم ترزقني ولدا فإني أعلم أنك لا تضيع دينك، وأنه سيقوم من عبادك من تختاره للتبليغ.

٩٠ ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه...﴾ أي: امرأته، قال ابن عباس: كانت عاقرا لا تلد فولدت وقيل: كان في لسانها طول، فأصلحها الله وفي رواية كان في خلقها شئ فأصلحها الله.

وكانت استجابة دعاء زكريا سريعة ومباشرة. ويختصر السياق تفصيلات كثيرة ليصل مباشرة إلى هذه الاستجابة.

وَالَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

أخيرًا يذكر مريم بمناسبة ذكر ابنها عليه السلام:

٩١ ﴿والتي أحصنت فرجها...﴾ وهي مريم لم يمسسها بشر فصانته من كل مباشرة ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ يريد روح عيسى ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ فهي آية فذة واحدة في تاريخ البشرية جميعًا.

٩٢ ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة...﴾ أي إن هذا دينكم دين واحد لا اختلاف بين الأمم المختلفة في التوحيد، وهي ملة الإسلام ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ خاصة، لا تعبدوا غير كائنا ما كان.

الدرس الرابع:
(الساعة، واشراطها)
الآية من ٩٢/١١٢
مدة الحفظ: يومان.

٩٣ ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم...﴾ أي: تفرقوا فرقا في الدين حتى صاركالقطع المتفرقة، فهذا موحد، وهذا يهودي، وهذا نصراني ﴿كل إلينا راجعون﴾ راجع إلينا بالبعث.

٩٤ ﴿فمن يعمل من الصالحات...﴾ بعض الأعمال الصالحة ﴿وهو مؤمن﴾ بالله ورسله واليوم الآخر ﴿فلا كفران لسعيه﴾ أي: لا جحود لعمله، ولا تضييع لجزائه ﴿وإنا له كاتبون﴾ أي: لسعيه حافظون.

والجزاء على العمل يتم في الآخرة حتى ولو قدم منه قسط في الدنيا. فالقرى التي هلكت بعذاب الاستئصال ستعود حتما لتنال جزاءها الأخير:

٩٥ ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ فهو يؤكد رجعتها إلى الله يوم القيامة للحساب والجزاء، وهناك معان أخرى، وهي كلها صحيحة تؤكد هذا المعنى.

ثم يعرض مشهدًا من مشاهد القيامة يبدؤه بالعلامة التي تدل على قرب الموعد. وهو فتح يأجوج ومأجوج:

٩٦ ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج...﴾ والمراد: فتح السد الذي عليهم ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ يخرجون يسرعون المشي في الأرض. وخروجهم من علامات الساعة.

وفي المشهد المعروض هنا يبرز عنصر المفاجأة التي أبهرت المفجوئين.

٩٧ ﴿واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا...﴾ لا تطرف من الهول الذي فوجئوا به، يقولون: ﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾ البعث والحساب فلم نستعد له ﴿بل كنا ظالمين﴾ ظالمين بالتكذيب وعدم الانقياد للرسل.

٩٨ ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله...﴾ وهي الأصنام ﴿حصب جهنم﴾ وقود جهنم وحصبها ﴿أنتم لها واردون﴾ والمخاطبون هم مشركو مكة دون غيرهم.

٩٩ ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها...﴾ لكنهم وردوها لأنهم لم يكونوا آلهة ﴿وكل فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها.

١٠٠ ﴿لهم فيها زفير...﴾ والزفير: صوت نفس المغموم ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ قيل: لا يسمعون شيئًا.

١٠١ ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ ﴿وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ أي: دائمون، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ
﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا
لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ
فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ
رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

١٠٢ ﴿لا يسمعون حسيسها...﴾ الحس والحسيس: الصوت تسمعه من الشئ يمر قريبا منك ﴿وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ أى: دائمون وفى الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

١٠٣ ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر...﴾ أهوال يوم القيامة ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون لهم ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ به فى الدنيا وتبشرون بما فيه ويختم المشهد بمنظر الكون الذى آل إليه:

١٠٤ ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب...﴾ والسجل الصحيفة، أى: طيا كطىّ الصحيفة على ما يكتب فيها ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده...﴾ بدأناهم فى بطون أمهاتهم وأخرجناهم إلى الأرض حفاة عراة، كذلك نعيدهم يوم القيامة وعدا علينا إنجازه والوفاء به، وهو الإعادة، إنا كنا قادرين على مانشاء. ويعود السياق لبيان سنة الله فى وراثة الأرض:

١٠٥ ﴿ولقد كتبنا في الزبور...﴾ الزبور كتاب داود، وهو كتاب المزامير ﴿من بعد الذكر﴾ هو التوراة ﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ قيل: هذا تبشير لأمة محمد ﷺ بوراثة أرض الكافرين.

١٠٦ ﴿إن في هذا لبلاغا...﴾ أى: فيما جرى ذكره فى هذه السورة من الوعظ والتنبيه ﴿لقوم عابدين﴾ أى: مشغولين بعبادة الله مهتمين بها، وراس العبادة الصلاة.

١٠٧ ﴿وما أرسلناك...﴾ يا محمد بالشرائع والأحكام ﴿إلا رحمة﴾ لجميع الناس. ومعنى كونه رحمة للكفار، أنهم آمنوا به من الخسف والمسخ والاستئصال.

وهنا يؤمر الرسول ﷺ بأن يواجه المكذبين المستهزئين:

١٠٨/١٠٩ ﴿قل إنما يوحى إلي...﴾ فهل أنتم متبعون على ذلك مستسلمون منقادون له ﴿فإن تولوا﴾ أى: أعرضوا عن الإسلام ﴿فقل﴾ لهم ﴿آذنتكم على سواء﴾ أى: أعلمتكم أنا وإياكم حرب، لا صلح بيننا كما أنكم حرب لى برئ منكم كما أنتم برآء منى ﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ أى هو واقع لا محالة، ولكن لا علم لى بقربه ولا ببعده. فهو غيب من غيب الله. لا يعلمه إلا الله:

١١٠ ﴿إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون﴾ فأمركم كله مكشوف له.

١١١ ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم...﴾ واختبار ليرى كيف صنعكم ﴿ومتاع إلى حين﴾ أى: وتمتيع إلى وقت مقدر تقتضيه حكمته. فهذا الإنذار يرد القلوب إلى اليقظة، ويعذر إليها بين يدى الله قبل فوات الأوان.

وهنا يتوجه الرسول ﷺ إلى ربه وقد أدى الأمانة، وبلغ الرسالة...

١١٢ ﴿قال رب احكم بالحق...﴾ وبذلك فوض الأمر إلى الله سبحانه ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ فهو يطلب حكمه الحق بينه وبين المستهزئين الغافلين، ويستعينه على كيدهم وتكذيبهم. وهو وحده المستعان.

وبهذا المقطع القوى تختم السورة كما بدأت بذلك المطلع القوى. فيتقابل طرفاها فى إيقاع نافذ قوى مثير عميق.

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

سورة الحج

المشهد الأول: (نداء عام)

من ١ / ٤٢

مدة الحفظ: ٢ أيام

يبدأ المشهد الأول بمطلع عنيف رعيب ومشهد ترتجف لهوله القلوب. يبدأ بالنداء الشامل للناس:

١ ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم... ﴾ احذروا عقابه فاستتروا منه بطاعته، أي بفعل الواجبات، وترك المحرمات ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ وهي الزلزلة التي هي أحد أشراطها وتكون في الدنيا قبل يوم القيامة، هذا قول الجمهور، وقيل: هي الزلزلة المرافقة لنفخة القيامة.

ثم يأخذ في التفصيل. فإذا هو أشد رهبة:

٢ ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت... ﴾ وذلك من شدة الهول ﴿ وتضع كل ذات حمل حملها ﴾ لنفس السبب أيضا ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ أي كأنهم سكارى ﴿ وما هم بسكارى ﴾ حقيقة ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ ولذلك طاشت العقول، واضطربت الأفهام، فصاروا كالسكارى.

وهنالك من يتطاول فيجادل في الله!!!

٣ ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم... ﴾ فيزعم أنه قادر على البعث، بغير علم يعلمه ﴿ ويتبع ﴾ فيما يقوله ﴿ كل شيطان مريد ﴾ أي متمرد على الله.

٤ ﴿ كتب عليه أنه من تولاه... ﴾ فاتخذه وليا ﴿ فأنه يضله ﴾ أي: فشأن الشيطان أن يضله عن طريق الحق ﴿ ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ يحمله على ما يصير به في عذاب السعير.

٥ ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث... ﴾ إن كان لديكم شك فانظروا في أنفسكم - فإنا خلقناكم من تراب ﴾ في ضمن خلق أبيكم آدم ﴿ ثم ﴾ خلقناكم ﴿ من نطفة ﴾ أي: من منى ﴿ ثم من علقة ﴾ العلقة: الدم الجامد المتكون من المنى ﴿ ثم من مضغة ﴾ وهي: القطعة من اللحم تتكون من العلقة ﴿ مخلقة ﴾ مستبينة الخلق ظاهرة التصوير ﴿ وغير مخلقة ﴾ وهو طور قبل التخليق تكون المضغة فيه لم يستبن خلقها ﴿ لنبين لكم ﴾ كمال قدرتنا بتصريفنا أطوار خلقكم ﴿ ونقر في الأرحام ما نشاء ﴾ فلا يكون سقطا، أي: ونسقط بعضها فلا يتم حمله ﴿ إلى أجل ﴾ وهو وقت الولادة ﴿ مسمى ﴾ أي: محدد معين قدّره الله، وهو تسعة أشهر للمرأة، ولكل جنس من الحيوان أجل للحمل محدد ﴿ ثم نخرجكم طفلا ﴾ أي نخرجكم من بطون أمهاتكم ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ والأشد: هو كمال العقل، وكمال القوة والتمييز، قيل: وهو مابين الثلاثين إلى الأربعين ﴿ ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ﴾ أي أخسه وأدونه، وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ يصير -من بعد أن كان ذ علم- ليس له علم ولا فهم ﴿ وترى الأرض هامدة ﴾ لا تنبت شيئا ميتة يابسة كالنار إذا طفئت ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء ﴾ ماء المطر ﴿ اهتزت ﴾ اهتز نباتها لكثرة قوته ﴿ وربت ﴾ ارتفعت، وقيل: انتفخت ﴿ وأنبتت ﴾ أي أخرجت ﴿ من كل زوج بهيج ﴾ أي: من كل صنف حسن. ولو مستحسن، والبهجة: الحسن.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

٦ ﴿ذلك بأن الله هو الحق...﴾ الموجود الذى لا يتغير ولا يزول ﴿وأنه يحيي الموتى﴾ كما أحيا الأرض الهامدة ﴿وأنه على كل شيء قدير﴾ كما قدر على عجائب إحياء النبات.

٧ ﴿وأن الساعة آتية...﴾ أى: فى مستقبل الزمان ﴿لا ريب فيها﴾ لا شك فيها ولا تردد ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ فيجازيهم بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

٨ ﴿ومن الناس من يجادل في الله﴾ أى: فى شأن الله. وهى فى كل من يتصدى لإغواء الناس وإضلالهم عن شرائعه الواضحة ﴿ولا كتاب منير﴾ البين الواضح.

٩ ﴿ثاني عطفه...﴾ عطف الرجل: جانباه من يمين وشمال، والمراد به: من يلوى عنقه مرحًا وتكبرًا ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ أى إن غرضه هو الإضلال عن السبيل ﴿له في الدنيا خزي﴾ الخزى: الذل ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ أى: عذاب النار المحرقة.

١٠ ﴿ذلك...﴾ العذاب ﴿بما قدمت يداك﴾ من الكفر والمعاصى ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ فلا يعذب عباده بغير ذنب.

ويمضى السياق إلى نموذج آخر من الناس:

١١ ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف...﴾ شاكّ فى دينه على غير ثبات وطمأنينة كالذى هو على حرف الجبل يضطرب اضطرابًا ﴿فإن أصابه خير﴾ خير دنيوى من رخاء وعافية وخصب وكثرة مال ﴿اطمأن به﴾ ثبت على دينه واستمر على عبادته ﴿وإن أصابته فتنة﴾ مكروه فى أهله، أو ماله، أو نفسه ﴿انقلب على وجهه﴾ أى: ارتد ورجع إلى الكفر ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ فلا حظ له مما أعده الله للصالحين من عباده ﴿ذلك﴾ خسران الدنيا والآخرة ﴿هو الخسران المبين﴾ الواضح.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ قال المفسرون: نزلت فى أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدنية مهاجرين فإن أصاب الواحد منهم خير فى جسمه وكثرت أمواله وأولاده قال خيرًا، وإن أصابه وجع المدينه وذهب ماله وتأخرت عنه الصدقة قال: شرًا وينقلب على دينه. فأنزل الله الآية.

١٢ ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه...﴾ لأنه جماد لا يقدر على ضر ولا نفع ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ عن الحق والرشد، وقيل: البعيد الطويل.

١٣ ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه...﴾ فالأصنام لا نفع فيها بحال من الأحوال، بل هى ضرر بحت لمن يعبدها ﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾ فبئس الناصر هو له، وبئس الصاحب.

١٤ ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾ فيثيب من يشاء ويعذب من يشاء.

أما من يفقد ثقته فى نصر الله فى الدنيا والآخرة فليفعل بنفسه ما يشاء...

١٥ ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة...﴾ من كان يظن أن لن ينصر الله محمد ﷺ ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ أى حيلة يصل بها إلى السماء ﴿ثم ليقطع﴾ أى ثم ليقطع النصر إن تهيأ له ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ وحيلته ﴿ما يغيظ﴾ من نصر الله للنبى ﷺ.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ
وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟
فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ
مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ
وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟
أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ
﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

بمثل هذا البيان لحالات الهدى والضلال، أنزل الله هذا القرآن ليهتدى به من يفتح له قلبه:

١٦ ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات...﴾ واضحات ظاهرة الدلالة على مدلولاتها ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ من يريد هدايته ابتداء، أو زيادة فيها لمن كان مهديا من قبل فأما الفرق المختلفة فى الاعتقاد فأمرها إلى الله:

١٧ ﴿إن الذين آمنوا..﴾ أى بالله وبرسوله وهم المسلمون ﴿والذين هادوا﴾ وهم اليهود المنتسبون إلى ملة موسى ﴿والصابئين﴾ فرقة معروفة لا ترجع إلى ملة من الملل المنتسبة إلى الأنبياء ﴿والنصارى﴾ هم المنتسبون إلى ملة عيسى ﴿والمجوس﴾ هم الذين يعبدون النار ﴿والذين أشركوا﴾ الذين يعبدون الأصنام ﴿إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ يقضى بينهم ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ لا يعزب عنه شئ من أفعال خلقه وأقوالهم وهو عليها شهيد.

والكون كله -فيما عداهم- يسجد لوجه الله:

١٨ ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات...﴾ وهم الملائكة ﴿ومن في الأرض﴾ من مؤمنى الإنس والجن والمراد بالسجود هنا: سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء ﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ وسجودها سجود الانقياد الكامل ﴿وكثير من الناس﴾ أى: ويسجد له كثير من الناس سجود الطاعة ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ أى: وكثير منهم يأبى ذلك فحق عليه العذاب ﴿ومن يهن الله﴾ أى: من أهانه الله بأن جعله كافرًا شقيا ﴿فما له من مكرم﴾ يكرمه ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ من الأشياء التى من جملتها الإكرام والإهانة.

ثم مشهد من مشاهد القيامة يتجلى فيه الإكرام والهوان:

١٩ ﴿هذان خصمان...﴾ أحدهما: اليهود والنصارى والصابئون، والخصم الآخر المسلمون، فهما فريقان مختصمان ﴿اختصموا في ربهم﴾ فى شأن ربهم أو فى ذاته، أو فى صفاته ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ سويت وجعلت لبوسًا لهم ﴿يصب من فوق رءوسهم الحميم﴾ والحميم: هو الماء الحار المغلى بنار جهنم.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ عن على قال: فينا نزلت هذه الآية وفي مبارزتنا يوم بدر.

٢٠ ﴿يصهر به ما في بطونهم...﴾ كما يصهر الحديد والنحاس والمعنى أن يذاب بذلك الحميم ما فى بطونهم من الأمعاء والأحشاء ﴿والجلود﴾ أى ويصهر به الجلود.

٢١ ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ المقامع: قطع من الحديد مهيأة للضرب بها.

٢٢ ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها...﴾ أى من النار ﴿من غم﴾ لأجل غم شديد من غموم النار ﴿أعيدوا فيها﴾ أى فى النار ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أى أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق.

٢٣ ﴿يحلون فيها...﴾ أى يجليهم الله. أو الملائكة بأمره ﴿ولؤلؤا﴾ يحلون لؤلؤا ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ وهو ما كان محرمًا عليهم فى الدنيا حلال فى الآخرة.

وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

٢٤ ﴿وهُدُوا إلى الطيب من القول...﴾ أى أرشدوا إليه ﴿وهُدُوا إلى صراط الحميد﴾ وهو الإسلام.

المشهد الثانى:
(بناء البيت، وشعائر الحج)
الآيات من ٢٤/٤١
مدة الحفظ: ٣ أيام.

يبدأ هذا المشهد بالحديث عن المشركين من قريش:

٢٥ ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله...﴾ أى: يمنعون من أراد الدخول فى دين الله وهو الإسلام.

﴿و﴾ يصدون عن ﴿المسجد الحرام﴾ قيل: المراد به المسجد نفسه، وقيل: الحرم كله، وقيل: المراد به مكه ﴿الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد﴾ والعاكف، وهو المقيم فيه الملازم له، والبادى: أي الواصل من البادية ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ الإلحاد: الميل عن الحق، وقيل: هو الشرك والقتل.

٢٦ ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم...﴾ بينا له ﴿مكان البيت﴾ ليبنيه للعبادة وأنزلناه فيه ﴿أن لا تشرك بي شيئا﴾ فللتوحيد أقيم هذا البيت منذ أول لحظة. وليطهره من الشرك وعبادة الأوثان لهؤلاء الطائفين بالبيت والقائمين فيه للصلاة والراكعين الساجدين.

ثم أمر الله إبراهيم -عليه السلام- إذا فرغ من إقامته أن يؤذن فى الناس بالحج:

٢٧ ﴿وأذن في الناس بالحج...﴾ وأن يدعوهم إلى بيت الله الحرام ووعده أن يلبى الناس دعوته من كل فج، رجالاً يسعون على أقدامهم ﴿وعلى كل ضامر﴾ الضامر البعير المهزول الذى أتعبه السفر ﴿يأتين﴾ أى: تأتى الإبل بالركبان للحج ﴿من كل فج عميق﴾ أى بعيد.

ويقف السياق عند بعض معالم الحج وغاياته:

٢٨ ﴿ليشهدوا منافع لهم...﴾ قيل: المراد بها المناسك، وقيل: التجارة والذبائح ﴿ويذكروا اسم الله...﴾ عند ذبح الهدايا والضحايا. والأيام المعدودات هى أيام النحر ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ وهى الإبل والبقر والغنم ﴿فكلوا منها﴾ فيسن الأكل من الهدى والأضحية. وقيل: يجب ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ البؤس: شدة الفقر فينبغى إطعام الفقراء من الهدى.

٢٩ ﴿ثم ليقضوا تفثهم...﴾ أى: ليؤدوا إزالة وسخهم من طول الشعر والأظفار وذلك يوم العيد ﴿وليوفوا نذورهم﴾ التى نذروها من الذبائح من غير الهدى الذى هو من أركان الحج ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ وهذا الطواف هو طواف الإفاضة.

وسمى العتيق: لأن الله أعتقه من أن يتسلط عليه جبار، وقيل العتيق: الكريم.

٣٠ ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه...﴾ الحرمات: ما وجب القيام به، وحرم التفريط فيه، فى الحج وغيره. وهذا التعظيم خير له فى الآخرة من التهاون بشئ منها ﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ وهى الإبل والبقر والغنم ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ من المحرمات، وهى الميتة وما ذكر معها فى سورة المائدة ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ الرجس: النجس ولا تزول نجاسة الشرك عن المشرك إلا بالإيمان كما أنها لا تزول النجاسة الحسية إلا بالماء ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ الباطل، والشرك بالله بأى لفظ كان.

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ
﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ
﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ
ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ
ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ
فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

٣١ ﴿حُنفاء لله. ﴾ مائلين إليه - عن كل ما يعبد من دونه- ﴿غير مشركين به﴾ شيئ من الأشياء ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾ سقط إلى الأرض ﴿فتخطفه الطير﴾ تخطف لحمه وتقطعه بمخالبها ﴿أو تهوي به الريح﴾ أي تقذفه وترمى به ﴿في مكان سحيق﴾ أى بعيد فى هوة ليس لها قرار.

٣٢ ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله... ﴾ اعلام دينه، ويدخل الهدى فى الحج ومناسك الحج ومشاعره كلها في ذلك، وتدخل المساجد والعبادات أيضا ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ أى: فإن تعظيمها من تقوى القلوب.

وهذه الذبائح إنما يوجبها الإسلام إلى الله وحده.

٣٤ ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا... ﴾ عيدا أو مكانا لذبح القرابين لله ﴿ليذكروا اسم الله﴾ وحده ويجعلوا نسكهم خاصا به ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أى: على ذبح ما رزقهم منها ﴿فإلهكم إله واحد﴾ هو الذى أنزل الديانات السماوية جميعا ﴿فله أسلموا﴾ بالانقياد لطاعته وعبادته ﴿وبشر المخبتين﴾ أى: المتواضعين الخاشعين المخلصين. بشرهم مما أعد الله لهم من جزيل ثوابه وجليل عطائه.

٣٥ ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم... ﴾ أى: خافت أشد الخوف ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلايا والمحن فى طاعة الله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أى: يتصدقون به وينفقونه فى وجوه البر، ويضعونه فى مواضع الخير

ثم يبين شعائر الحج ينحر البدن:

٣٦ ﴿والبدن... ﴾ هى الإبل المهداة إلى البيت، واختلفوا فى صحة إطلاق البدنة على البقرة ﴿لكم فيها خير﴾ أى: منافع دينية ودنيوية ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أى: على نحرها ﴿صواف﴾ أى قائمة قد صفت أقدامها. والإبل تنحر قائمة على ثلاث معقولة الرجل الرابعة ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ واطمأنت على الأرض وسقطت بعد نحرها، وذلك عند خروج روحها ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ القانع: الذى يرضى بما عنده ولا يسأل. والمعتر: الذى يتعرض لك لتعطيه ﴿كذلك سخرناها لكم﴾ فصارت تنقاد لكم إلى مواضع نحرها، فتنحرونها وتنتفعون بها، بعد أن كانت مسخرة للحمل عليها والركوب على ظهرها والحلب لها، ونحو ذلك ﴿لعلكم تشكرون﴾ هذه النعمة التى أنعم الله بها.

﴿لن ينال الله لحومها... ﴾ فإن اللحوم والدماء لا تصل إلى الله سبحانه. إنما تصل إليه تقوى القلوب ﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم﴾ فقد هداكم إلى توحيده والاتجاه إليه ﴿وبشر المحسنين﴾ الذين يحسنون الصلة بالله.

وهكذا لا يخطوا المسلم فى حياته خطوة، ولا يتحرك فى ليله أو نهاره حركه، إلا وهو ينظر فيها إلى الله

٣٨ ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا... ﴾ إن قوى الشر تعمل فى الأرض، والمعركة مستمرة بين الخير والشر والهدى والضلال والصراع قائم منذ أن خلق الله الإنسان.

وقبل أن يأذن الله للمؤمنين بالقتال آذنهم أنه هو سيتولى الدفاع عنهم فهم فى حمايته. وأنه يكره أعداءهم لكفرهم وخيانتهم ﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن
يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

٣٩ ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا...﴾ والله سبحانه قد ضمن للمؤمنين الدفاع عنهم.. فلم إذن أذن لهم بالقتال؟ والجواب أن حكمة الله في هذا هي العليا.. فلقد شاء سبحانه أن يتم النصر عن طريقهم هم أنفسهم وأيضا لأن النصر السريع الهين سهل فقدانه وضياعه.

٤٠ ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق..﴾ المراد بالديار مكة ﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ أي: لكن أخرجوا منها لقولهم ربنا الله ﴿ولولا دفع الله الناس﴾ لهدمت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد ﴿يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ أي فقاتلوا لإقامة ذكر الله ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ والمراد بمن ينصر الله: من ينصر دينه وأولياءه.

٤١ ﴿الذين إن مكناهم في الأرض..﴾ فحققنا لهم النصر، وثبتنا لهم الأمر.. ﴿أقاموا الصلاة﴾ فعبدوا الله ووثقوا صلتهم به واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين ﴿وآتوا الزكاة﴾.. فأدوا حق المال، وانتصروا على شح النفس ﴿وأمروا بالمعروف﴾.. فدعوا إلى الخير والصلاح، ودفعوا إليه الناس.. ﴿ونهوا عن المنكر﴾.. فناوءوا الشر والفساد ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ أي مرجعها إلى حكمه.

المشهد الثالث:
(سنة الله في الدعوات)
من الآية ٤٢/٥٧
مدة الحفظ: يومان

٤٢/٤٤ ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم...﴾ تسلية لرسول الله ﷺ وتعزية له، متضمنة للوعد له بإهلاك المكذبين له من الملأ من قريش ﴿قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم إبراهيم وقوم لوط﴾ فهي سنة مطردة في الرسالات كلها، قبل الرسالة الأخيرة أن يجئ الرسل بالآيات فيكذب بها المكذبون، فليس الرسول ﷺ بدعا من الرسل حين يكذبه المشركون. والعاقبة معروفة.

ويفرد موسى بعقرة خاصة ﴿وكذب موسى﴾ وهنا يأتي سؤال للتهويل ﴿فكيف كان نكير﴾، والجواب معروف. فهو نكير مخيف! نكير الطوفان والخسف والتدمير والهلاك والزلازل والعواصف والترويع.

بعد ذلك يعمم في عرض مصارع الغابرين:

٤٥ ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة...﴾ فهي كثيرة تلك القرى المهلكة بظلمها ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ والعروش السقوف فإذا تهدم البنيان خرت العروش وسقط فوقها البنيان: ثم إلى جوارها الآبار المعطلة المهجورة والقصور المشيدة وهي خالية من السكان موحشة من الأحياء.

وبعد عرض هذه المشاهد يسأل في استنكار.

٤٦ ﴿أفلم يسيروا في الأرض...﴾ إن مصارع الغابرين حيالهم شاخصة موحية، تتحدث بالعبر، وتنطق بالعظات ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ فتدرك ما وراء هذه الآثار ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ فتسمع أحاديث الأحياء عن تلك الدور المهدمة والآبار المعطلة والقصور الموحشة. ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ أي: ليس الخلل في مشاعرهم ولكن في عقولهم التي لا تدرك مواطن الحق ومواضع الاعتبار.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

وبدلاً من التأمل فى تلك المصارع.. راحوا يستعجلون بالعذاب الذى أخره الله عنهم:

٤٧ ﴿ويستعجلونك بالعذاب...﴾ لأنهم كانوا منكرين لمجيئه أشد إنكار فاستعجالهم على طريقة الاستهزاء ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ فمجيئه حتمى ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ أى إن المدة القصيرة عنده كالمدة الطويلة، فاليوم الواحد وألف سنة بالنسبة إلى قدرته سواء. ولذلك يمهلهم.

٤٨ ﴿وكأين من قرية أمليت لها...﴾ ولقد أملى الله للكثير من تلك القرى الهالكة فلم يكن هذا الإملاء منجيًا لها من المصير المحتوم والسنة المطردة فى هلاك الظالمين ﴿ثم أخذتها وإلىّ المصير﴾ أى أخذتهم بالعذاب ومرجع الكل إلى حكمى.

ثم يلتفت السياق بالخطاب إلى رسول الله ﷺ:

٤٩ ﴿قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين﴾ فيحدد السياق وظيفة الرسول... ثم يأخذ فى تفصيل المصير:

٥٠ ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ فجزاؤهم ﴿لهم مغفرة﴾ لما سلف من ذنوبهم أو تقصيرهم ﴿ورزق كريم﴾ غير متهم ولا مهين.

٥١ ﴿والذين سعوا فى آياتنا...﴾ وبذلوا غاية جهدهم فى تعطيل آيات الله عن أن تبلغ القلوب... هؤلاء فقد جعلهم مالكن للجحيم ويا لسوئها ملكية فى مقابل ذلك الرزق الكريم ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾.

والله يحفظ دعوته من كيد الشيطان أيضا:

٥٢/٥٣ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته..﴾ أى: فى تلاوته وقراءته، أى أن الشيطان أوقع فى مسامع المشركين ذلك من دون أن يتكلم به رسول الله ﷺ ولا جرى على لسانه أى لا يهولنك ذلك ولا يحزنك، فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء ﴿فينسخ الله ما يلقى الشيطان﴾ أى يبطله ويجعله ذاهبًا غير ثابت ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ أى: يثبتها ﴿والله عليم حكيم﴾ أى: كثير العلم والحكمة فى كل أقواله وأفعاله ﴿ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة﴾ أى: ذلك الإلقاء الذى يلقيه الشيطان فتنة، أى: ضلالة ﴿للذين فى قلوبهم مرض﴾ أى شك ونفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ هم المشركون ﴿وإن الظالمين لفى شقاق بعيد﴾ أى: عداوة شديدة.

٥٤ ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك...﴾ وليتحقق العارفون أن هذا القرآن هو الحق من ربك لأن تعرض الشيطان له بالدس فيه سنة عامة جرت لجميع الرسل السابقين.

٥٥ ﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه﴾ أى فى شك منه حتى تباغتهم القيامة أو يأتيهم عذاب يوم يهلك الناس فيه، فتصير النساء كالعقم، أى كأنهن لم يلدن ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ إن هذا اليوم لا يعقب... إنه اليوم الأخير. إنه يوم القيامة. وقيل: لأن لا رحمة لهم فيه فلا يأتيهم بخير، وقيل: هو يوم حرب يقتلون فيه، كيوم بدر.

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟
لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

٥٦/٥٧ ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ أي السلطان القاهر والاستيلاء التام لله وحده ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين الناس فالذين آمنوا في جنات النعيم، والكافرون المكذبون لآيات الله في عذاب مهين.

المشهد الرابع:
(وعد الله الحق)
من الآية ٥٨/٧٨
مدة الحفظ: يومان.

يبدأ هذا الدرس بالحديث عن المهاجرين بعدما سبق الإذن لهم بالقتال ويبين ما أعده لهم من عوض عما تركوا من ديار وأموال:

٥٨ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ لا في سبيل منافعهم الذاتية ثم قتلوا في جهاد العدو أو ماتوا بانقضاء آجالهم على فراشهم، ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا هو الجنة ونعيمها وإن الله لهو خير الرازقين فإنه يرزق بغير حساب.

٥٩ ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ...﴾ إذ يجدون ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بدرجات العاملين ﴿حَلِيمٌ﴾ عن تفريط المفرطين منهم لا يعاجلهم بالعقوبة.

فأما الذين يقع عليهم العدوان من البشر:

٦٠ ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ..﴾ أي اقتص من الجاني بمثل ما جنى عليه ولم يزد في العقوبة، ثم جُني عليه ثانية ﴿لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ لا محالة، أن الله كثير العفو والغفران للمؤمنين.

بعد ذلك يربط السياق بين وعد الله وسننه الكونية الكبرى:

٦١ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ...﴾ والسياق يوجه النظر إلى تلك الظاهرة الكونية المكرورة التي يمر عليها الناس غافلين، وكذلك نصر الله لمن يقع عليه البغي وهو يدفع عن نفسه العدوان... إنه سنة مطردة كسنة إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل.

ذلك مرتبط بأن الله هو الحق. فالحق هو المسيطر على نظام الكون:

٦٢ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ...﴾ فدينه حق، وعبادته، ونصره لأوليائه على أعدائه حق، ووعده حق، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ وهي الأصنام ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ لا ثبوت له ولا لكونه إلها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ أي: العالي على كل شيء، المتقدس عن الأشباه والأنداد ﴿الْكَبِيرُ﴾ أي: ذو الكبرياء والعظمة والجلال وذلك ضمان كاف لا نتصار الحق على العدل.

ويستطرد السياق في استعراض دلائل القدرة في مشاهد الكون:

٦٣ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً...﴾ بما ينبت فيها من النبات ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل علمه إلى كل دقيق وجليل ﴿خَبِيرٌ﴾ بتدبير عباده وما يصلح لهم.

٦٤ ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ خلقًا وملكًا وتصرفًا، وكلهم محتاجون إلى رزقه ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ فلا يحتاج إلى شيء ﴿الْحَمِيدُ﴾ المستوجب للحمد في كل حال والمستوجب للحمد في كل لسان.

معاني الكلمات:
مُدْخَلًا الجنة أو درجات رفيعة فيها
بُغِيَ عَلَيْهِ ظلم بمعاودة العقاب
يُولِجُ يدخل.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ
بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ
فِى ٱلْأَمْرِ ۘ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ
فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ ۖ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

٦٥ ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض...﴾ من الدواب والشجر والأنهار وجعله لمنافعكم ﴿والفلك﴾ أي: وسخر لكم الفلك في حال جريها في البحر. ويمسك السماء كراهة أن تقع على الأرض إلا إذا شاء ذلك يوم القيامة، يوم يعطل الناموس الذي يعمله لحكمة ويعطله كذلك لحكمة.

وينتقل السياق من الكون إلى النفس، وعرض سنن الحياة والموت في عالم الإنسان:

٦٦ ﴿وهو الذي أحياكم ثم يميتكم...﴾ والحياة الأولى معجزة، والموت سر آخر يعجز العقل البشري عن تصور كنهه ﴿ثم يحييكم﴾ والحياة بعد الموت -وهي غيب من الغيب... ولكن هذا الإنسان لا يتأمل ولا يتدبر هذه الدلائل والأسرار ﴿إن الإنسان لكفور﴾.

وهنا يتوجه السياق بالخطاب إلى رسول الله ﷺ ليمضي في طريقه:

٦٧ ﴿لكل أمة جعلنا منسكا...﴾ أي لكل قرية من القرون الماضية وضعنا شريعة خاصة بحيث لا تتخطى كل أمة شريعتها الخاصة بها إلى غير شريعتها ﴿هم ناسكوه﴾ وهكذا فلا داعي إذن أن ينشغل رسول الله ﷺ فلكل أمة منسكا هم ناسكوه، ومنهجا هم سالكوه، كما يأمره أن يمضي على منهجه لا يتلفت ولا ينشغل بجدل المجادلين.

٦٨ ﴿وإن جادلوك...﴾ فلا ضرورة لإضاعة الوقت والجهد ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ فليكلهم إلى الله. فهو الذي يحكم بين المناسك والمناهج:

٦٩ ﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة...﴾ وهو الحكم الذي لا يحادل فيه أحد، لأنه لا جدال في ذلك اليوم ولا نزاع في الحكم الأخير!

والله يحكم بعلم كامل، فلا تخفى عليه خافية في العمل والشعور.

٧٠ ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض...﴾ وعلم الله الكامل الدقيق لا يخفى عليه شئ في السماء ولا في الأرض، ولا يتأثر بالمؤثرات التي تنسى وتمحو فهو كتاب يضم علم كل شئ

وهنا يكشف السياق عما في منهج المشركين من عوج:

٧١ ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا...﴾ وهؤلاء إنما يعبدون آلهة من الأصنام والأوثان، أو من الناس أو الشيطان. وأعجب شئ أنهم وهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ﴿وما ليس لهم به علم﴾ فهم يعبدونها لا عن علم ولا عن دليل يقتنعون به إنما هو الوهم والخرافة. ﴿وما للظالمين من نصير﴾ ينصرهم، ويدفع عنهم عذاب الله.

٧٢ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر...﴾ حتى ليكادون يثبون على الذين يتلونها ويبطشون بهم من شدة غيظهم منهم.

ومن ثم يواجههم القرآن الكريم بالتهديد والوعيد:

﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ المنكر الذي تنطوون عليه من ذلك البطش الذي تهمون به... ﴿النار﴾.. وهي الرد المناسب للبطش والمنكر ﴿وبئس المصير﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ
وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟
رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾
وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ ۖ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

ثم يعلن فى الآفاق إعلانا مدويًا عامًا.. يعلن عن ضعف الآلهة المدعاة.. الآلهة كلها... التى يتخذها الناس من دون الله.

٧٣ ﴿يا أيها الناس ضرب مثل...﴾ يبين لكم به ضلال المشركين ﴿فاستمعوا له﴾ إنه النداء العام، والنفير البعيد الصدى هذا المثل يضع قاعدة ويقرر حقيقة ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابا واحدًا ولو اجتمعوا له وأعان بعضهم بعضا على خلقه وتصويره، وإن يسلبهم هذا الذباب شيئًا لا يستطيعون أن ينقذوه منه، فما أضعف الطالب والمطلوب، أى فما أضعف عابد الصنم ومعبوده. وخلق الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل.

٧٤ ﴿ما قدروا الله حق قدره...﴾ أى: ما عظموه حق تعظيمه، ولا عرفوه حق معرفته، حيث جعلوا هذه الأصنام شركاء له مع كون حالها هذا الحال ﴿إن الله لقوى عزيز﴾ بخلاف آلهة المشركين، فإنها جماد لا تنفع ولا تضر، ولا تقدر على شئ.

٧٥ ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا...﴾ كجبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل ﴿و﴾ يصطفى أيضا رسلا ﴿من الناس﴾ وهم الأنبياء، فيختار من الملائكة ملكًا يختص بإرساله إلى الأنبياء المصطفين من البشر فيرسل الملك إلى النبى، والنبى إلى الناس أو يرسل الملك لقبض أرواح مخلوقاته أو لتحصيل ما ينفعكم.

٧٦ ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم...﴾ أى يعلم ما يفعله رسله من الملائكة ومن الناس، فلا يقدرون على كتم شئ مما أمرهم بتبليغه، ولا بتبليغ شئ لم يأمر به.

والآن يتوجه بالخطاب إلى الأمة المسلمة لتنهض بتكاليف دعوتها:

٧٧ ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا...﴾ أى: صلوا الصلاة التى شرعها الله لكم ﴿واعبدوا ربكم﴾ أى: افعلوا جميع أنواع العبادة التى أمركم الله بها ﴿وافعلوا الخير﴾ أى: ما هو خير وأهمه الفرائض، ثم النوافل -ومن خير الخير نفع الناس ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى تكونوا من الفائزين برحمة الله ورضوانه يوم القيامة.

٧٨ ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده...﴾ جاهدوا أعداء دينه جهادًا حقا. هو اختاركم من بين الأمم وحملكم أعباء دينه، وما جعل عليكم فيه من ضيق ما يصعب القيام به بل جعله يسرًا لا عسر فيه. هو دين أبيكم إبراهيم، وهو الذى سماكم المسلمين قبل نزول القرآن وسماكم الله كذلك فيه ليكون الرسول شهيدا عليكم يوم القيامة، ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ فأقيموا الصلاة وأدوا الزكاة وتمسكوا بالله، وثقوا به فى كل شئونكم، هو ناصركم وولى أمركم، فنعم المولى ونعم النصير.

وفى هاتين الآيتين يجمع المنهاج الذى رسمه الله لهذه الأمة ويلخص تكاليفها التى ناطها بها ويقرر مكانها الذى قدره لها، ويثبت جذورها فى الماضى والحاضر والمستقبل.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن
سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

سورة المؤمنون

الدرس الأول:
(دلائل الإيمان في النفس والآفاق)
من الآية ١ / ٢٨

مدة الحفظ: يوم واحد.

يبدأ هذا الدرس بالوعد الصادق والقرار الأكيد بفلاح المؤمنين ويذكر صفاتهم ثم ينتقل إلى دلائل الإيمان:

١ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ أي فاز المؤمنون الجامعون للصفات التالية:

٢/١١ ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ تستشعر قلوبهم رهبة الموقف في الصلاة بين يدي الله ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾.. لغو القول، لغو العمل، ولغو الاهتمام والشعور. ولا ينفي هذا أن يروح المؤمن عن نفسه في الحين بعد الحين. ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾. والزكاة طهارة للقلب من الشح، وطهارة للمال تجعل ما بقي منه بعده طيبا حلالاً ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ وهذه طهرة الروح والبيت والجماعة. ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ فمن تجاوز زوجته أو مملوكته إلى غيرها فهو معتد ظالم آثم. وعد الدائرة المباحة، ووقع في الحرمات، واعتدى على الأعراض التي لم يستحلها بنكاح ولا بجهاد.

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ والأمانات كثيرة في عنق الفرد وفي عنق الجماعة ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ فلا يفوتونها كسلاً، ولا يضيعونها إهمالاً، ولا يقصرون في إقامتها، وإنما يؤدونها في أوقاتها ﴿أولئك هم الوارثون﴾ الذين يرثون أعلى درجات الجنان هم فيها خالدون وتلك غاية الفلاح الذي كتبه الله للمؤمنين.

١٢/١٤ ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ وهذا النص يشير إلى أطوار النشأة الإنسانية ولا يحددها فيفيد أن الإنسان مر بأطوار مسلسلة، من الطين إلى الإنسان ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ أي ثابتة في الرحم الغائرة بين عظام الحوض المحمية بها من التأثر باهتزازات الجسم، ومن كثير مما يصيب الظهر والبطن. ومن النطفة إلى العلقة، أحال النطفة البيضاء إلى علقة حمراء ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ أي قطعة لحم غير مخلقة ﴿فخلقنا المضغة عظاماً﴾ متصلبة لتكون عموداً للبدن ﴿فكسونا العظام لحماً﴾ انبتنا اللحم على العظام بالمقدار الذي يليق به ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ أي نفخنا فيه الروح بعد أن كان جماداً ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ وليس هناك من يخلق سوى الله.

ثم يتابع السياق خطاه لاستكمال مراحل الرحلة:

١٥ ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ والموت هو نهاية الحياة الأرضية، وبرزخ مابين الدنيا والآخرة.

١٦ ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ البعث المؤذن بالطور الأخير من أطوار تلك النشأة. وبعده تبدأ الحياة الكاملة.

وينتقل السياق إلى دلائل الإيمان في الآفاق:

١٧ ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق..﴾ طوارق بعضها فوق بعض ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ وما كنا عن هذه السبع الطرائق وحفظها بغافلين، وحفظنا من في الأرض أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم، أو تميد بهم في الأرض.

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ
بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن
طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي
الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي
بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن
كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

١٨ ﴿وأنزلنا من السّماء ماءً بقدَر..﴾ لا أكثر فيغرق ويفسد، ولا أقل فيكون الجدب ﴿فأسكناه في الأرض﴾ وما أشبه وهو مستكن في الأرض بماء النطفة وهو مستقر في الرحم ﴿في قرارٍ مكين﴾ كلاهما مستقر بتدبير الله لتنشأ الحياة ﴿وإنّا على ذهاب به لقادرون﴾ ... فيغور في طبقات الأرض البعيدة بكسر أو شق في الطبقات الصخرية.

ومن الماء تنشأ الحياة:

١٩ ﴿فأنشأنا لكم به جنّات من نخيل وأعناب...﴾ والنخيل والأعناب نموذجان من الحياة التي تنشأ بالماء في عالم النبات كما ينشأ الناس من ماء النطفة في عالم الإنسان ﴿لكم فيها﴾ أي في هذه الجنات ﴿فواكه كثيرة﴾ تتفكهون بها وتطعمون منها.

٢٠ ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدُّهن...﴾ أي تنبت ثمرها وفيها الدهن وهو زيت الزيتون ﴿وصبغ للآكلين﴾ لأنه يصطبغ به وهو يغمس الآكل فيه اللقمة ويأكلها.

٢١/٢٢ ﴿وإنّ لكم في الأنعام لعبرة...﴾ فيستدل بخلقها وأفعالها على عظيم القدرة الإلهية ﴿نُسقيكم ممّا في بطونها﴾ فتحوله غدد اللبن إلى هذا السائل السائغ اللطيف ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ يجملها أولاً، ثم يخصص منها منفعتين: ﴿ومنها تأكلون (٢١) وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ ويربط السياق بين حمل الإنسان على الأنعام وحمله على الفلك بوصفهما مسخرين بنظام الله الكوني، الذي ينظم وظائف الخلائق جميعا.

الدرس الثاني:
(حقيقة الإيمان التي جاء بها الرسل)
من الآية ٢٣/٥٢
مدة الحفظ: ثلاثة أيام.

٢٣/٢٤ ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه...﴾ فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده لا إله غيره، أفلا تخافون بطشه من الشرك به؟ فقال الأشراف ممن كفروا من قومه ليس نوح إلا بشرًا مثلكم يريد أن يسود عليكم بدعوى الرسالة، ولو شاء الله إرسال رسول لأرسل ملكا من عنده. ثم يحيلون الأمر إلى السوابق المألوفة لا إلى العقل المتدبر: ﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾

٢٥ ﴿إن هو إلا رجل به جنّة...﴾ أي: جنون فهو لا يدري ما يقول ﴿فتربّصوا به حتّى حين﴾ أي إلى أن يأخذه الموت، ويرجكم منه ومن دعوته.

٢٦ ﴿قال ربّ انصرني...﴾ عليهم فانتقم منهم بما تشاء وكيف تريد ﴿بما كذّبون﴾ أي: بسبب تكذيبهم إياي.

٢٧ ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك...﴾ والفلك وسيله للنجاة من الطوفان، ولحفظ بذور الحياة السليمة ﴿بأعيننا﴾ بحفظنا وكلاءتنا ﴿ووحينا﴾ تعليمنا إياه لكيفية صنعها ﴿فإذا جاء أمرنا﴾ بالعذاب ﴿وفار التنور﴾ والتنور بيت النار الذي ينضج فيه الخبز، جعل فوران الماء فيه علامة بدء الطوفان ﴿فاسلك فيها من كلّ زوجين اثنين﴾ ذكر وأنثى ﴿وأهلك﴾ أي وأسلك أهلك ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ من الله تعالى بإهلاكه منهم ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ بالدعاء بإنجائهم ﴿إنهم مغرقون﴾ مقضى عليهم بالأغراق.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَٰرَكًا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

ويمضى السياق فى تعليم نوح -عليه السلام- كيف يشكر نعمة ربه:

٢٨/٢٩ ﴿فإذا استويت... ﴾ علوت ﴿أنت ومن معك﴾ من أهلك وأتباعك ﴿على الفلك﴾ راكبين عليه ﴿فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ فيكذا يحمد الله، وهكذا يتوجه إليه ﴿وقل رب أنزلني منزلا مباركا﴾ أمره الله أن يقولها عند دخوله فى السفينه وعند خروجه منها ﴿وأنت خير المنزلين﴾ هذا ثناء منه على الله عز وجل.

ثم يعقب على القصة كلها:

٣٠ ﴿إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين﴾ وفى قصة نوح ألوان من الابتلاء له ولقومه ولأبنائه القادمين..

ويمضى السياق يعرض مشهدًا آخر:

٣١ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ قال اكثر المفسرين هم عاد قوم هود.

٣٢ ﴿فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ ذات الكلمة الواحدة التى قالها من قبه نوح... فماذا كان الجواب؟

٣٣ ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم...﴾ قالوا نفس المقالات.. فالاعتراض المكرور هو الاعتراض على بشرية الرسول: ﴿يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ وذلك يستلزم عندهم أنه لا فضل له عليهم.

٣٤ ﴿ولئن أطعتم بشرا مثلكم...﴾ فأنتم مغبونون بتركك آلهتكم واتباعكم إياه من غير فضيلة له عليكم.

٣٥ ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا...﴾ إنكم لمبعوثون من جديد ومحاسبون على ما قدمتم وأخرتم؟ ذلك ليس بمعقول.

٣٦ ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ أى بعد إخراجكم للوعد الذى توعدون.

٣٧ ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا...﴾ لا الحياة الآخرة التى تعدنا بها ﴿نموت ونحيا﴾ فى الدنيا لا غير.

وأيضًا يتهمون رسلهم بالافتراء على الله:

٣٨ ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا...﴾ فلا أصل لما يقول.

عندئذ لم يجد الرسول إلا أن يستنصر ربه:

٣٩ ﴿قال رب انصرني...﴾ انصرنى عليهم وانتقم لى منهم.

وعندئذ وقعت الاستجابه:

٤٠ ﴿قال عما قليل...﴾ أى بعد مدة قليلة من الزمان ﴿ليصبحن نادمين﴾ على ما وقع منهم من التكذيب والعناد والإصرار على الكفر.

ولكن حيث لا ينفع الندم، ولا يجدى المتاب:

٤١ ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق...﴾ صاح بهم جبريل صيحة واحدة مع الريح التى أهلكهم الله بها فماتوا جميعا ﴿فجعلناهم غثاء﴾ والغثاء ما يجرفه السيل، لا خيرفيه ملقى بلا احتفال ولا اهتمام.

ويزيدهم على هذه المهانة ﴿فبعدا للقوم الظالمين﴾ أى هلاكًا لهم.

ويمضى السياق بعد ذلك فى استعراض القرون:

٤٢ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين﴾ أى من أوجدنا بعد إهلاكهم عادًا أهل قرون آخرين كقوم صالح وقوم إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا
كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ
أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

٤٣ ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ لا تتقدم ولا تتأخر آجالها المكتوبة لها.

٤٤ ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا...﴾ تتواتر واحدًا بعد واحد، ويتبع بعضهم بعضا مرسلين إلى تلك الأمم. ﴿فأتبعنا بعضهم بعضا﴾ أى: فى الهلاك بما نزل بهم من العذاب ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ وهى ما يتحدث به الناس ﴿فبعدا لقوم لا يؤمنون﴾ أى هلاكًا لهم بلا عودة.

ثم يحمل قصة موسى فى الرسالة والتكذيب:

٤٥/٤٨ ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون...﴾ إلى فرعون وقومه بمعجزاتنا وحجة بينة، فاستكبروا عن الإيمان بهما إذ كانوا قوما متكبرين، وكانت حجتهم أن قالوا انؤمن لرجلين مثلنا وقومهما لنا عابدون. فكذبوهما، فكانوا من الذين أهلكناهم والاعتراض ذاته كان على بشرية الرسل!!

وإشارة مجملة إلى عيسى ابن مريم وأمه:

٤٩/٥٠ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾ أى التوراة ﴿لعلهم يهتدون﴾ يهتدون بها إلى الحق ويعملون بما فيها من الشرائع ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ علامة على قدرتنا، إذ أولدناها إياه بدون أن يمسها بشر، وآويناهما إلى مكان عال فى قرار وماء نابع من الأرض ويجدان فيه الرعاية والإيواء.

ثم يتوجه بالخطاب إلى أمة الرسل وكأنما هم مجتمعون فى صعيد واحد:

٥١ ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات...﴾ ما يستطاب ويستلذ من الحلال ﴿واعملوا صالحا﴾ موافقا للشرع ﴿إنى بما تعملون عليم﴾ لا يخفى عليه شئ منه، وإنى مجازيكم على حسب أعمالكم ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ ملة واحده، وهو دعاء جميع الأنبياء إلى عبادة الله وحده لا شريك له فالزموه ﴿فاتقون﴾ أى: لا تفعلوا ما يوجب العقوبة عليكم منى، بأن تشركوا بى غيرى

الدرس الثالث:
(حال الناس بعد أمة الرسل)
من الآية ٥٣/٩٨
مدة الحفظ: ثلاثة أيام

يبدأ هذا الدرس بتصوير حال الناس، تلك الحال التى جاء الرسول الأخير فوجدهم عليها:

٥٣/٥٦ ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا...﴾ فتوزعوا أمرهم بينهم واختلفوا فرقًا، كل حزب بما لديهم فرحون، لتوهمهم أنه الحق اليقين ﴿فذرهم فى غمرتهم حتى حين﴾ أي اتركهم فى جهلهم وحيرتهم، ولا يضيق صدرك بتأخير العذاب عنهم، أو حتى يموتوا فيعذبوا فى النار ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين﴾ بل لا يشعرون أن هذا فتنة لهم لنرى إلى أى حد ينتهون. بل هو استدراج لهم ليزدادوا إثمًا.

٥٧/٥٩ ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ قد أصابه فهؤلاء المؤمنون يشفقون من ربهم خشية وتقوى، هم للحق وهم يؤمنون بآياته، ولا يشركون به. وهم ينهضون بتكاليفهم وواجباتهم.

معانى الكلمات:

وآويناهما: صيرناهما وأوصلناهما

فتقطعوا أمرهم: تفرقوا فى أمر دينهم

غمرتهم: جهالتهم وضلالتهم.

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ
ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ
كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن
ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

٦٠ ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ وسبب الوجل هو أنهم يخافون ألا يقبل منهم ذلك على الوجه المطلوب.

٦١ ﴿أولئك يسارعون في الخيرات...﴾ يبادرون بها ﴿وهم لها سابقون﴾ وهم يسبقون الناس إلى فعلها.

عن عائشة -رضى الله عنها- أنها قالت: يا رسول الله ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: [لا يابنت الصديق! ولكنه الذى يصلى ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل]
«أخرجه الترمذى»

٦٢ ﴿ولا نكلف نفسا إلا وسعها...﴾ فلقد شرع الله التكاليف وفق ما يعلم من استعداد النفوس إنما يغفل الغافلون لأن قلوبهم فى غمرة عن الحق:

٦٣ ﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا...﴾ فى غفلة عن هذا الكتاب أو عن الأمر الذى عليه المؤمنون ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ ولهم أعمال رديئة لم يعملوها من دون ما هم عليه، أى: قد كتبت عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة، لتحق عليهم كلمة العذاب.

ثم يرسم مشهد انتباههم على الكارثة الباغتة:

٦٤ ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب...﴾ أى: المتنعمين منهم ﴿إذا هم يجأرون﴾ بالصراخ يستغيثون ويولولون ويقال لهم حينئذ:

٦٥/٦٧ ﴿لا تجأروا اليوم...﴾ لتبكيتهم وإقناطهم وقطع أطماعهم ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ لا تمنعون من عذابنا ولا ينفعكم جزعكم ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ أى: فى الدنيا، وهى آيات القرآن ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أى ترجعون وراءكم معرضين عن سماع القرآن ﴿مستكبرين به﴾ أى: بحرم البيت الحرام، اشتهر أهل مكة بالاستكبار به، وافتخارهم بولايته والقيام به ﴿سامرا تهجرون﴾ لأنهم كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون، وكان عامة سمرهم ذكر القرآن والطعن فيه، والهجر -بالفتح- الهذيان، أى: تهذون فى شأن القرآن.

وينتقل السياق بهم فيعود بهم إلى الدنيا من جديد:

٦٨/٧٤ ﴿أفلم يدبروا القول..﴾ أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا ببداهة أنه الحق، ﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ أم لم يعرفوه بالصدق والاستقامة فهم له منكرون ﴿أم يقولون به جنة﴾ قد أصابه الجنون؟ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون لأنه يخالف شهوتهم ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ ميولهم المنبعثة عن شهواتهم ﴿لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ لأن أمر الكون لا يقوم على الباطل ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ بكتاب فيه وعظهم فهم عنه معرضون ﴿أم تسألهم خرجا﴾ أجرا على إصلاحهم فأجر ربك خير ﴿وهو خير الرازقين﴾ وإنك لتدعوهم إلى صراط ﴿مستقيم﴾ وإن الكافرين بالآخرة ﴿عن الصراط لناكبون﴾ لمائلون. أى منحرفون إلى طريق الضلال.

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

٧٥/ ٧٧ ﴿ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر.. ﴾ أي: من قحط وجدب ﴿ للجوا في طغيانهم ﴾ أي: لتمادوا في طغيانهم وضلالهم ﴿ يعمهون ﴾ يترددون ويخبطون ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب ﴾ قيل: هو الجوع الذى أصابهم في سنى القحط ﴿ فما استكانوا لربهم ﴾ أي: ما خضعوا ولا تذللوا، بل أقاموا على التمرد على الله ﴿ وما يتضرعون ﴾ وما يخشعون لله في الشدائد.

وهذه صفة عامة لذلك الصنف من الناس، القاسية قلوبهم، الغافلين عن الله. ﴿ حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد ﴾ قيل: هو عذاب الآخرة، وقيل: قتلهم يوم بدر بالسيف ﴿ إذا هم فيه مبلسون ﴾ أي متحيرون لا يدرون ما يصنعون. ثم يجول معهم جولة أخرى علها توقظ وجدانهم:

٧٨ ﴿ وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار... ﴾ امتن الله عليهم بنعمة السمع والبصر ﴿ والأفئدة ﴾ وهى قلوبهم التى يفقهون بها ليسمعوا المواعظ، وينظروا العبر، ويتفكروا بالأفئدة، فلم ينتفعوا بشئ من ذلك ﴿ قليلا ما تشكرون ﴾.

٧٩ ﴿ وهو الذي ذرأكم في الأرض... ﴾ أى بثكم فيها كما تبث الحبوب فتنبت ﴿ وإليه تحشرون ﴾ أي: تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم.

٨٠ ﴿ وهو الذي يحيي ويميت... ﴾ على جهة الانفراد والاستقلال ﴿ وله اختلاف الليل والنهار ﴾ يتعاقبان ويختلفان في الإضاءة والإظلام، وقيل تكررهما يومًا بعد يوم، وليلة بعد ليلة ﴿ أفلا تعقلون ﴾ كنه قدرته، وتتفكرون في ذلك.

وهنا يحكى مقولاتهم عن البعث والحساب:

٨١ ﴿ بل قالوا مثل ما قال الأولون ﴾ أي: آباؤهم والموافقون لهم في دينهم. أو المراد الأمم السابقة:

٨٢ ﴿ قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ مجرد استبعاد لم يتعلقوا فيه بشئ من الشبه.

٨٣ ﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل... ﴾ أي: وعدنا هذا البعث، ووعده آباؤنا ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ أي: ما هذا إلا أكاذيب الأولين التى سطروها في الكتب.

وهنا يصحح الاضطراب في العقيدة ويردهم إلى التوحيد الخاص:

٨٤/ ٨٧ ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها... ﴾ فهو سؤال عن ملكية الأرض ﴿ سيقولون لله ﴾ ولكنهم مع ذلك لا يذكرون هذه الحقيقة وهم يتوجهون بالعبادة لغير الله ﴿ قل أفلا تذكرون ﴾ ويجئ سؤال آخر عن الربوبية المدبرة ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾ فمن هو رب هؤلاء ﴿ سيقولون لله ﴾ ولكنهم مع ذلك لا يخافون صاحب العرش ﴿ قل أفلا تتقون ﴾.

٨٨/ ٨٩ ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء... ﴾ الملكوت: الملك ﴿ وهو يجير ﴾ يغيث غيره إذا شاء ويمنعه ﴿ ولا يجار عليه ﴾ أي: لا يمنع أحد أحدًا من عذاب الله، ولا يقدر على نصره وإغاثته من الله ﴿ قل فأنى تسحرون ﴾ كيف يخيل لكم الحق باطلا، والصحيح فاسدًا.

معاني الكلمات:

فما استكانوا: فما خضعوا

مبلسون: متحيرون آيسون

ذرأكم: خلقكم وبثكم بالتناسل

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

وفى اللحظة لمناسبة يجئ تقرير حقيقة ما جاء به الرسول ﷺ

٩٠/٩٢ ﴿بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون﴾ ثم يفصل فيما هم كاذبون ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾ ... ثم يأتى بالدليل الذى ينفى دعواهم ﴿إذا لذهب كل إله بما خلق﴾ مستقلاً بما خلقه ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ بغلبة سيطرته وتصريفه على الكون الذى لا يبقى ولا تنظيم إلا بناموس واحد، وتصريف واحد. وتدبير واحد ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ أى: من الشريك والولد ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أى: هو مختص بعلم الغيب والشهادة ﴿عما يشركون﴾ والمعنى: أنه سبحانه متعال عن أن يكون له شريك فى الملك.

٩٣/٩٥ ﴿قل رب إما تريني ما يوعدون..﴾ ورسول الله فى حاجة من أن يجعله الله مع القوم الظالمين حين يحل بهم العذاب الأليم، ويتحقق ما يوعدون، ولكن هذا الدعاء فى التوقى، وتعليم لمن بعده ألا يأمنوا مكر الله، والله قادر على أن يحقق ما وعد به الظالمين فى حياة الرسول ﷺ ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ وقد رأه بعض ما وعدهم فى غزوة بدر. ثم فى الفتح العظيم

٩٦ ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة..﴾ أى ادفع بالخصلة التى هى أحسن من غيرها، وهى الصفح والإعراض عما يفعله الكفار ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ أى: ما يصفونك به مما أنت على خلافه، أو بما يصفون من الشرك والتكذيب.

٩٧ ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ ورغم عصمته ﷺ من الشياطين فاستعاذته هذه هى زيادة فى التوقى، وزيادة فى الالتجاء إلى الله ثم نتبعه فى قولها.

٩٨ ﴿وأعوذ بك رب ان يحضرون﴾ فإنهم إذا حضروا الإنسان لم يكن لهم عمل إلا الوسوسة والإغراء على الشر والصرف عن الخير ويحتمل أن تكون الاستعاذة من حضورهم إياه ساعة الوفاة.

الدرس الرابع:
(من مشاهد القيامة)
من الآية ٩٩/١١٨
مدة الحفظ: يومان.

٩٩ ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت...﴾ إنه مشهد الاحتضار، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت، وطلب الرجعة إلى الحياة ﴿قال رب ارجعون﴾ لتدارك ما فات ﴿لعلي أعمل صالحا﴾ فى الدنيا إذا رجعت إليها.

فإذا الرد على هذا الرجاء المتأخر: ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ ولو أجيب إلى ذلك لما حصل منه الوفاء ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ أى من أمامهم وبين أيديهم حاجز بين الموت والبعث ﴿إلى يوم يبعثون﴾ فلا هم من أهل الدنيا ولا هم من أهل الآخرة. إنما هم فى ذلك البرزخ بين بين، إلى يوم يبعثون.

١٠١/١٠٤ ﴿فإذا نفخ في الصور...﴾ فإذا بعث الموتى للحساب فلا تنفعهم أنسابهم، ولا يسأل بعضهم بعضا لا شتغال كل منهم بنفسه. فمن ثقلت موازين أعمالهم فهم الفائزون، ومن خفت فأولئك الذين أضاعوا أنفسهم. تحرق وجوههم النار وهم فيها متقلصة شفاههم عن أسنانهم من شدة شعورهم بالاحتراق.

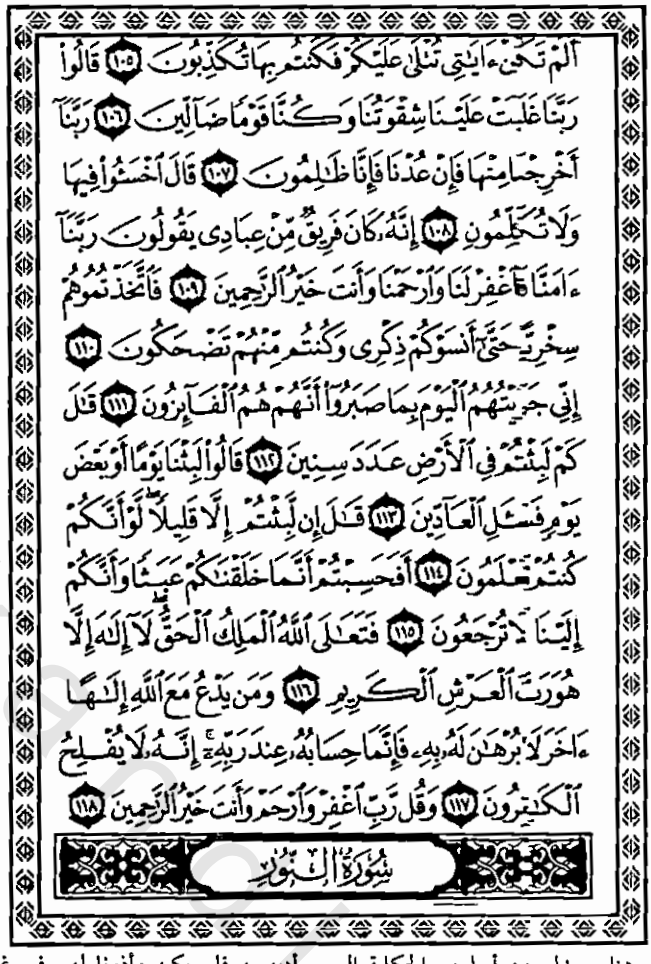
أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَـُٔوا فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ

وهنا يعدل عن أسلوب الحكاية إلى أسلوب الخطاب والمواجهة:

١٠٥ ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون﴾ وكأنما يخيل إليهم -وقد سمعوا هذا السؤال- أنهم مأذونون في الكلام- مسموح لهم بالرجاء:

١٠٦ ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا...﴾ أي: غلبت علينا لذاتنا وشهواتنا، فسمى ذلك شقوة، لأنه يؤول إلى الشقاء ﴿وكنا قوما ضالين﴾ بتلك الشقوة.

١٠٧ ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا...﴾ إلى ما كنا عليه من الكفر ﴿فإنا ظالمون﴾ وهو إعتراف تتجلى فيه المرارة والشقوة... ولكن كأنما هم قد تجاوزوا حدهم وأساءوا أدبهم، فلم يكن مأذونا لهم في غير الإجابة على قدر السؤال، فهم يزجرون زجرا عنيفا قاسيا:

١٠٨ ﴿قال اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ اخرسوا واسكتوا سكوت الأذلين المهانين، فإنكم لتستحقون ما أنتم فيه من العذاب الأليم والشقاء المهين.

١٠٩/١١١ ﴿إنه كان فريق من عبادي...﴾ وهم المؤمنون يدعون الله بالرحمة والمغفرة ﴿فاتخذتموهم سخريا﴾ أي هزوا بالقول ﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ أي نسيتم ذكر الله لشدة اشتغالكم بالاستهزاء ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ في الدنيا ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾ أي جازيتهم على صبرهم بفوزهم اليوم.

وبعد هذا الرد القاسي يبدأ في استجواب من جديد:

١١٢/١١٣ ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾ وإن الله -سبحانه- ليعلم. ولكنه سؤال لاستصغار أمر الأرض، واستقصار أيامهم فيها ﴿قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين﴾ وهي إجابة الضيق واليأس والأسى والقنوط:

١١٤ ﴿قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون﴾ ثم عودة إلى الترذيل والتعنيف على تكذيبهم بالآخرة:

والرد إنكم لم تلبثوا إلا قليلا بالقياس إلى ما أنتم مقبلون لو كنتم تحسنون التقدير.

١١٥ ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ فحكمة البعث من حكمة الخلق. محسوب حسابها، ومقدر وقوعها، ومدبر غايتها.

وتنتهي سورة الإيمان بتقرير القاعدة الأولى للإيمان.. التوحيد.. وإعلان الخسارة الكبرى لمن يشركون بالله.

١١٦ ﴿فتعالى الله...﴾ أي تنزه عن أن يخلق شيئا عبثا ﴿الملك﴾ الذي يحق له الملك على الإطلاق ﴿الحق﴾ وملك غيره زائل فان ﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ فكيف لا يكون إلها وربا لما هو دون العرش الكريم من المخلوقات.

١١٧ ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر...﴾ يقول سبحانه متوعدا من أشرك غيره وعبد معه سواه ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ أي الله يحاسبه على ذلك ثم أخبر ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾.

١١٨ ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ هذا إرشاد من الله تعالى إلى هذا الدعاء وهو اتجاه إلى الله في طلب الرحمة والغفران.

معاني الكلمات:

غلبت علينا: استولت علينا. ملكتنا.

شقوتنا: شقاوتنا أو لذاتنا

سخريا: مهزوءا بهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

سورة النور

الدرس الاول: (حديث الإفك)

من الآية ١/٢٦

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

يبدأ هذا الدرس بإعلان حاسم ومطلع قوى صريح جازم ويتبعه ببيان حد الزنا:

١ ﴿سورة...﴾ أى: هذه سورة ﴿أنزلناها﴾ والسورة آيات مسرودة لها مبدأ ومختم ﴿وفرضناها﴾ أوجبناها ولزمناكم العمل بها ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ لما اشتملت عليه من الأحكام لعلكم تعتبرون.

٢ ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة...﴾ وهذه الآية ناسخة لآية الحبس، وآية الأذى، اللتين فى سورة النساء ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا (١٥) واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما﴾

والخطاب هنا للائمة، ومن قام مقامها. وقيل للمسلمين أجمعين، والإمام ينوب عنهم ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ أى رحمة ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فلا تعطلوا الحدود ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ زيادة فى التنكيل، وشيوع العار عليهما، وإشهار فضيحتهما.

٣ ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة...﴾ والمقصود زجر المؤمنين عن نكاح الزواتى بعد زجرهم عن الزنى وهذا أرجح الأقوال ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ فلا يحل للمسلم العفيف أن يتزوج مرأة غير عفيفة وهو يعلم والعكس أيضا وهى تعلم.

٤ ﴿والذين يرمون المحصنات...﴾ والشتم لهذه الحاشة قذفا. والمراد بالمحصنات: النساء العفيفات المؤمنات. ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يشهدون عليهم بوقوع الزنا منهم ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ أى: اجلد كل واحد منهما هذا العدد ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا﴾.

أى: فاجمعوا لهم بين الأمرين: الجلد وترك قبول الشهادة ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ فقد تجاوزوا الحد بالمعصية.

٥ ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا...﴾ ما أفسدوه بتلافى الضرر الذى سببوه فإن الله يغفر لهم ويرحمهم.

٦/ ٩ ﴿والذين يرمون أزواجهم...﴾ الزوج الذي يقذف زوجته بالزنا يجب عليه أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فى قذفه إياها. ويقول فى الخامسة إن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

وإن رغبت الزوجة فى درء الحد عنها عندئذ تحلف بالله أربع مرات أنه كاذب فيما رماها به، وتحلف يمينا خامسة بأن غضب الله عليها إن كان صادقا وهى كاذبة... بذلك يدرأ عنها احد.

وقد عقب على هذا التخفيف والتيسير ومراعاة الأحوال والظروف بقوله:

١٠ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته...﴾ لنال الكاذب منهما عذاب عظيم ﴿وأن الله تواب حكيم﴾ يتوب على من تاب إليه ورجع، حكيم فيما شرع لعباده.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ
كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

١١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ...﴾ سبب نزول هذه الآية: إلى الآية رقم ٢٠: أخرج البخارى ومسلم وأهل السنن وغيرهم حديث عائشة الطويل فى سبب نزول هذه الآيات، وحاصله: أنها خرجت من هودجها تلتمس عقدًا لها انقطع، فرحلوا وهم يظنون أنها فى هودجها، فرجعت وقد ارتحل الجيش والهودج معهم، فأقامت فى ذلك المكان، ومر بها صفوان بن المعطل، وكان متأخرًا عن الجيش فأناخ راحلته وحملها عليها، فلما رأى ذلك أهل الإفك اتهموها بالفاحشة، وقالوا ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ وهم عبد الله بن أبى رأس المنافقين، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثه، وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم. ثم سارع - سبحانه - بتطمين المسلمين من عاقبة هذا الكيد ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ خير. فهو يكشف عن الكائدين للإسلام فى شخص رسول الله ﷺ أما الذين خاضوا فى الإفك ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ بسبب تكلمه به ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ هو عبد الله بن أبى، وقيل: هو حسان.

١٢ ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...﴾ كان يجب عليهم أن يستبعدوا سقوط أنفسهم فى مثل هذه الحمأة ﴿وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كذب ظاهر مكشوف

١٣ ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ...﴾ وهم لم يفعلوا فهم كاذبون إذن ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ﴾ الخائضون فى الإفك ﴿عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

والله يحذرهم أن يعودوا لمثله أبدًا:

١٤ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ فأدركهم بفضله ورحمته ولم يمسهم بعقابه وعذابه.

١٥ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ...﴾ يرويه بعضكم عن بعض ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ كالذى يردد إشاعات ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ أى: شيئا يسيرا لا يلحقكم فيه إثم ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ عظيم ذنبه وعقابه.

١٦ ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا...﴾ وهذا عتاب لجميع الذين خاضوا فى إشاعة الإفك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ للتعجب من أولئك ﴿هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ والبهتان: هو أن يقال فى الإنسان ما ليس فيه.

١٧/١٨ ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا...﴾ مدة حياتكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يقتضى عدم الوقوع فى مثله ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ لتعلموا بذلك، وتتأدبوا بآداب الله ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما تبدونه وتخفونه ﴿حَكِيمٌ﴾ فى تدبيراته لخلقه.

ثم يمضى فى التعقيب على حديث الإفك:

١٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ...﴾ أن يتفشى الزنا وينتشر ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هم المحصنون العفيفون من أهل الإيمان ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بإقامة الحد عليهم ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بعذاب النار ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ إلا ما علمكم به وكشفه لكم من أمر هؤلاء الذين لا يبغون لكم إلا السوء.

ومرة أخرى يذكر المؤمنين بفضل الله عليهم ورحمته:

٢٠ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ...﴾ لعاجلكم بالعقوبة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

وهنا يصور الله لهم عملهم بأنه اتباع للشيطان ويحذرهم ما يقودهم إليه من مثل هذا السر المستطير:

٢١ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان... ﴾ أى: لا تتبعوا مسالكه ومذاهبه ولا تسلكوا طرائقه التى يدعوكم إليها ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه ﴾ أى: الشيطان ﴿ يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ ومن اتبع الشيطان صار مقتديا به، يطيعه فيما يأمره به ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء ﴾ فنور الله الذى يشرق فى القلب يطهره ويزكيه. والله يسمع ويعلم، فيزكى من يستحق التزكية، ويطهر من يعلم فيه الخير والاستعداد ﴿ والله سميع عليم ﴾ سميع لما يقولونه وعليم بجميع المعلومات.

تحيّ الدعوة إلى الصفح والمغفرة:

٢٢ ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى... ﴾ نزلت فى أبى بكر -رضى الله عنه- بعد نزول القرآن ببراءة الصديقة. وقد عرف أن مسطح بن أثاثه كان ممن خاضوا فيه. وهو قريبه ﴿ أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين ﴾ وكان مسطح ذا قرابة لأبى بكر، مهاجرًا، مسكينا ﴿ وليعفوا ﴾ عن ذنبهم الذى أذنبوه ﴿ وليصفحوا ﴾ بالإغضاء عن الجانى ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ بسبب عفوكم وصفحكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ فكيف لا يقتدى العباد بربهم فى العفو والصفح.

٢٣ ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات... ﴾ ومنهن عائشة -رضى الله عنها- واللاتى لا تخطر الفاحشة ببالهن فهو من أهل هذه الآية ﴿ لعنوا في الدنيا والآخرة ﴾ والمراد باللعنة: الابعاد عن رحمة الله.

٢٤ ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم... ﴾ فى ذلك اليوم بما تكلموا به ﴿ وأيديهم وأرجلهم ﴾ بما عملوا فى الدنيا، الله سبحانه ينطقها بالشهادة عليهم ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ بذنوبهم التى اقترفوها.

٢٥ ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق... ﴾ يعطيهم الله جزاءهم عليها موقرا لا شك فى ثبوته. ﴿ ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾ فى ذاته وصفاته وأفعاله.

٢٦ ﴿ الخبيثات للخبيثين... ﴾ مختصة بهم لا تتجاوزهم ﴿ و ﴾ كذا ﴿ الخبيثون للخبيثات ﴾ لا يتجاوزونهن. وهكذا قوله ﴿ والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ وما كانت عائشة إلا طاهرة، ولذلك فهى تستحق هذا الحب العظيم من الرسول المعصوم.

أولئك الطيبون والطيبات ﴿ مبرءون مما يقولون ﴾ بفطرتهم وطبيعتهم ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ مغفرة عما يقع من أخطاء ورزق كريم. دلالة على كرامتهم عند ربهم.

الدرس الثانى:

(الوقاية من الجرائم)

من الآية ٢٧/٢٤

مدة الحفظ: يومان

٢٧ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا... ﴾ وتعلموا أنه قد أذن لكم بالدخول ﴿ وتسلموا على أهلها ﴾ يقول: السلام عليكم أأدخل؟ مرة أو مرتين أو ثلاثا ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ من الدخول بغتة ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ والمراد بالتذكر الاتعاظ، والعمل بما أمروا به.

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

فإن لم يكن فى البيوت أحد فلا يجوز اقتحامها بعد الاستئذان، لأن لا دخول بغير إذن:

٢٨ ﴿فإن لَّمْ تجدوا فيها أحدا...﴾ والاستئذان لا يبيح الدخول، ومتى يجوز ذلك؟ ﴿حتى يُؤْذَنَ لكم﴾ فإن لم يأذن أهل البيت فلا دخول كذلك. ويجب الانصراف دون تلكؤ: ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ ارجعوا دون أن تجدوا فى أنفسكم غضاضة.

فللناس أسرارهم وأعذارهم ولهم وحدهم تقدير ذلك ﴿والله بما تعملون عليم﴾ فهو المطلع على خفايا القلوب.

٢٩ ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة...﴾ وهى كما ذكرنا بعاليه ﴿فيها متاع لكم﴾ أي استمتاع ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ وفيه وعيد لمن لم يتأدب بآداب الله فى دخول بيوت الغير.

٣٠ ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم...﴾ وهنا حكم النظر على العموم لقطع ذرائع الزنى التى منها النظر ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عما يحرم عليهم ﴿ذلك﴾ الغض والحفظ ﴿أزكى لهم﴾ أطهر من دنس الريبة وأطب من التلبس بهذه الدنيئة ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ وعيد لمن لم يغض بصره أو لم يحفظ فرجه.

٣١ ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن...﴾ فلا يرسلن بنظراتهن الجائعة المتلصصة أو الهاتفة المثيرة، ولا يبحن فروجهن إلا فى حلال طيب ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ قال ابن عباس: ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب والخاتم ونحو ذلك فإنه يجوز للمرأة أن تبديه.

وعن ابن عمر وابن عباس (الوجه والكفان) ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ الخمر: جمع خمار، وهو ما تغطى به المرأة رأسها والجيوب: جمع جيب، وهو موضع القطع من الدرع والقميص من حيث يدخل الرأس ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ أى: زينتهن الباطنة كالتى فى الشعر أو على الصدر ﴿إلا لبعولتهن﴾ أى ازواجهن ﴿أو نسائهن﴾ فأما غير المسلمات فلا. لأنهن قد يصفن لأزواجهن وإخواتهن، وأبناء ملتهن مفاتن نساء المسلمين وعوراتهن لو أطلعن عليها، ويستثنى كذلك ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ قيل: من الإناث فقط، وقيل: من الذكور كذلك. لأن الرقيق ليس عند شهوة إلى سيدته. والأولى أولى. ويستثنى ﴿التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾ وهم الذين لا يشتهون النساء لسبب من الأسباب كالعنة والبلاهة والجنون. ويستثنى ﴿الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ وهم الأطفال الذين لا يثير جسم المرأة فيهم الشعور بالجنس ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ قال الزجاج: وسماع هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى تفوزون بسعادة الدنيا والآخرة. وفى النهاية يرد القلوب كلها إلى الله، ويفتح لها باب التوبة مما ألمت به قبل نزول هذا القرآن: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ بذلك يثير الحساسية برقابة الله، وعطفه ورعايته، وعونه للبشر فى ضعفهم أمام ذلك الميل الفطرى العميق الذى لا يضبطه مثل الشعور بالله، وبتقواه.

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾

٣٢ ﴿وأنكحوا الأيامى منكم...﴾ والأيامى هم الذين لا أزواج لهم من الجنسين... والمقصود هنا الأحرار ﴿والصالحين من عبادكم﴾ عبيدكم ﴿وإمائكم﴾ مملوكاتكم، والصلاح: هو الإيمان. ولا يجوز أن يكون الفقر عائقا عن التزويج، فالرزق بيد الله وقد تكفل الله بإغنائهم ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ فمن تزوج يغنه الله، يغنيه بغنى النفس ﴿والله واسع﴾ ذو سعة لاينقص من سعة ملكه غنى من يغنيه عن عباده ﴿عليم﴾ بمصالح خلقه.

٣٣ ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا﴾ أى: ليطلب العفة عن الزنى والحرام من لا يجد تكلفة النكاح من المهر والنفقة أو لم يجد زوجا مناسبا ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ أى: يرزقهم رزقا يستغنون به ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم﴾ والكتاب أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه -على دفعات- فإذا أداه فهو حر ﴿إن علمتم فيهم خيرا﴾ والخير هو القدرة على الأداء ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ وهنا يجب له نصيب من مال الزكاة. ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ المراد بالفتيات هنا: الإماء، والبغاء: الزنى بأجر، وهذا مختص بزنى النساء ﴿إن أردن تحصنا﴾ كانوا يكرهونهن وهن يردن التعفف ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ وهو ما تكسبه الأمة بفرجها باعتبار أن عادتهم كانت كذلك ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ لهن، فربما لا تخلو فى تضاعيف الزنى عن شائبة مطاوعة بحكم الجبلة البشرية.

٣٤ ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات..﴾ واضحات لا تدع مجالا للغموض والتأويل ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾ وهو عرض لمصائر الغابرين الذى انحرفوا عن نهج الله ﴿وموعظة للمتقين﴾ الذين تستشعر قلوبهم رقابة الله فتخشى وتستقيم.

الدرس الثالث

(نور الله... وآداب تتبع)

الآيات رقم: ٣٥/٤٥

مدة الحفظ: يومان.

٣٥ ﴿الله نور السموات والأرض...﴾ والله جعل السماوات والأرض منيرتين باستقامة أحوال أهلهما، وكمال تدبيره عزوجل لمن فيهما ﴿مثل نوره﴾ نوره الفائض عنه، والذى جعله فى قلب عبده المؤمن ﴿كمشكاة﴾ وهى: مثل الشباك المسدود ﴿فيها مصباح﴾ وهو السراج ﴿المصباح في زجاجة﴾ المصباح فى قنديل من الزجاج، والقنديل كأنه كوكب مصنوع من جوهر الدر، يتوقد من زيت شجرة مباركة هى شجرة الزيتون يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسه نار ﴿زيتونة﴾ ثمرتها إدام، ودهان، ودباغ، ووقود ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ لا يسترها عن الشمس شئ لا فى حال شروقها ولا فى حال غروبها ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ لصفائه وجودته ﴿نور على نور﴾ المصباح نور والزجاجة نور ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أى يبين الأشياء بنظائرها وأشباهها تقريبا لها.

٣٦ ﴿في بيوت...﴾ وهى المساجد ﴿أذن الله أن ترفع﴾ تبنى عالية وتعظم ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ بالأذان والتسبيح وسائر الأذكار ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ بأوائل النهار وأواخره، وذلك فى صلاة الصبح والعصر.

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن
فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ
يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ ۚ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ
وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

٣٧ ﴿رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله..﴾ في هذه البيوت تتسق معها القلوب الوضيئة الطاهرة، المسبحة الواجفة، المصلية الواهبة قلوب الرجال الذين لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ فهم مع الشغل لتحصيل الكسب والثراء لا يغفلون عن أداء حق الصلاة، وأداء حق العباد في الزكاة ﴿يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ تتقلب فلا تثبت على شيء من الهول والكرب والاضطراب.

٣٨ ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله...﴾ ورجاؤهم لن يخيب في فضل الله ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ من فضله الذي لا حدود له في مقابل ذلك النور المتجلي في السموات والأرض.

٣٩ ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة...﴾ يلتمع التماعا كاذبا، فيتبعه صاحبه الظامئ ﴿يحسبه الظمآن ماء﴾ وهو يتوقع الرى غافلاً عما ينتظره هناك... وفجأة يتحرك المشهد حركة عنيفة.. يصل فلا يجد ماء يرويه إنما يجد المفاجأة المذهلة ﴿ووجد الله عنده﴾ الله الذي كفر به وجحده، فكيف وهو يجد الله القوى المنتقم الجبار؟ ﴿فوفاه حسابه﴾ هكذا في سرعة عاجلة ﴿والله سريع الحساب﴾ تعقيب يتناسق مع المشهد الخاطف المرتاع.

٤٠ ﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب...﴾ وتتراكم الظلمات بعضها فوق بعض، حتى ليخرج يده أمام بصره فلا يراها لشدة الرعب والظلام ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ فمن لم يتصل بهذا النور فهو في ظلمة لا انكشاف لها، وفي مخالفة لا أمن فيها.

وهنا مشهد الإيمان والهدى والنور في الكون الفسيح:

٤١ ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض...﴾ إن الإنسان ليس مفردًا في هذا الكون الفسيح، فإنه من حوله، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، وحيثما امتد به النظر أو طاق به الخيال.. إخوان له من خلق الله، لهم طبائع شتى، وصور شتى، ولكنهم يلتقون في الله ويتوجهون إليه، ويسبحون بحمده ﴿والله عليم بما يفعلون﴾.

٤٢ ﴿ولله ملك السموات والأرض...﴾ فلا التجاء إلا إليه، ولا ملجأ من دونه، ولا مفر من لقائه ولا عاصم من عقابه، ﴿وإلى الله المصير﴾.

٤٣ ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابا...﴾ يسوق السحاب سوقًا رقيقًا إلى حيث يشاء ﴿ثم يؤلف بينه﴾ أي: بين أجزائه فيضم بعضه إلى بعض، ويجمعه بعد تفرقه ليقوى ويتصل ويكثف ﴿ثم يجعله ركاما﴾ أي متراكما يركب بعضه بعضا ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ أي: المطر يخرج من داخل السحاب ﴿وينزل من السماء﴾ من جهة العلو ﴿من جبال فيها﴾ من قطع عظام تشبه الجبال ﴿من برد﴾ أي: ينزل من تلك القطع العظام بردًا، ﴿فيصيب به﴾ بما ينزل من البرد ﴿من يشاء﴾ أن يصيبه من عباده ﴿ويصرفه عن من يشاء﴾ منهم ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ أي يكاد ضوء البرق الذي في السحاب من شدة بريقه وزيادة لمعانه يخطف أبصارهم.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن
يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ
وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ
يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل
لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

٤٤ ﴿يقلب الله الليل والنهار...﴾ أي: يعاقب بينهما، وقيل: بالحر والبرد ﴿إن في ذلك لعبرة﴾ العبرة الدلالة الواضحة التي يكون بها الاعتبار ﴿لأولي الابصار﴾ كل من له بصر يبصر به فيعقل آيات الله.

٤٥ ﴿والله خلق كل دابة من ماء...﴾ الدابة: كل ما دب على الأرض من الحيوان ﴿من ماء﴾ من نطفة، وهي المني ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ وهي الحيات والحشرات والدود ونحو ذلك ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ الإنسان والطير ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالسرطان والعناكب وكثير من الحشرات وكالجمادات.

الدرس الرابع
(أدب المؤمنين وسوء أدب المنافقين)
٤٦/٥٧

مدة الحفظ: (يومان)

٤٦ ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات...﴾ وما فرطنا في الكتاب من شئ ﴿والله يهدي من يشاء﴾ بتوفيقه للنظر الصحيح وإرشاده إلى التأمل الصادق ﴿إلى صراط مستقيم﴾ إلى طريق مستو لا عوج فيه فيتوصل بذلك إلى نعيم الجنة.

٤٧ ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا...﴾ ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم صحيح ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ من هؤلاء المنافقين، فلا يطيعون رسول الله ﷺ فيما يأمرهم من الجهاد وغيره ﴿من بعد ذلك﴾ أي: من بعد ما صدر عنهم ما نسبوه إلى أنفسهم من دعوى الإيمان والطاعة: ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ الإشارة بقوله أولئك راجع إلى من تولى.

٤٨ ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم...﴾ أي ليحكم الرسول بينهم ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ عن المحاكمة إلى الرسول.

٤٩ ﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ فلقد كانوا يعلمون أن حكم الله ورسوله لا يحيد عن الحق.

٥٠ ﴿أفي قلوبهم مرض...﴾؟ وهذا السؤال الأول للإثبات فمرض القلب جدير بأن ينشئ هذا الأمر ﴿أم ارتابوا﴾؟ والسؤال الثاني للتعجب. فهل هم يشكون في حكم الله وهم يزعمون الإيمان؟ ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ والسؤال الثالث للاستنكار والتعجب من أمرهم الغريب.

٥١/٥٢ ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا...﴾ فهم السمع والطاعة بلا تردد ولا جدال ولا انحراف ﴿وأولئك هم المفلحون﴾. المفلحون لأن الله هو الذي يدبر أمورهم، وينظم علاقاتهم، ويحكم بينهم بعلمه وعدله ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ وأدب الطاعة مع الله ورسوله، مع خشية الله وتقواه، أدب رفيع.

٥٣ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم...﴾ أي: لئن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد ﴿ليخرجن﴾ ومعنى جهد أيمانهم طاقة ما قدروا أن يحلفوا، فرد الله عليهم، فقال ﴿قل لا تقسموا﴾ أي: لا تحلفوا على ما تزعمونه من الطاعة والخروج إلى الجهاد إن أمرتم به ﴿طاعة معروفة﴾ أي طاعة معروفة أولى بكم من إيمانكم ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ من الأعمال، أي فلماذا تقسمون إن كنتم صادقين؟

قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ
إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى
شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ
وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

لهذا يعود فيأمرهم بالطاعة. الطاعة الحقيقية لا ماعتهم تلك المعروفة المفهومة!

٥٤ ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول.. ﴾ ﴿ فإن تولوا ﴾ وتعرضوا، أو تنافقوا ﴿ فإنما عليه ما حمل ﴾ من تبليغ الرسالة وقد قام به وأداه ﴿ وعليكم ما حملتم ﴾ وهو أن تطيعوا وتخلصوا. وقد نكصتم عنه ولم تؤدوه: ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ إلى المنهج القويم المؤدي إلى الفوز والفلاح ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ فليس مسئولا عن إيمانكم، وليس مقصرا إذا أنتم توليتم.

٥٥ ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات... ﴾ ذلك وعد الله. ووعد الله حق. ولن يخلف الله وعده ﴿ يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾ أي: هذا ما يلزمهم فعله لكي أوفي لهم بالوعد المذكور ﴿ ومن كفر بعد ذلك ﴾ أي: من كفر هذه النعم بعد ذلك الوعد الصحيح ﴿ فأولئك ﴾ الكافرون ﴿ هم الفاسقون ﴾ أي: الكاملون في الفسق، وهو الخروج عن الطاعة، والطغيان في الكفر.

٥٦ ﴿ وأقيموا الصلاة... ﴾ فهذه هي العدة.. الاتصال بالله وتقويم القلب بإقامة الصلاة ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ بالاستعلاء على الشح وتطهير النفس والجماعة بإيتاء الزكاة ﴿ وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ وطاعة الرسول والرضى بحكمه، وتنفيذ شريعة الله في الصغيرة والكبيرة ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ في الأرض: من الفساد والانحدار والخوف والقلق والضلال وفي الأخرة: من الغضب والعذاب والنكال.

٥٧ ﴿ لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض... ﴾ أي: لا تظن أنهم يفوتونني إن أردت أن أوقع بهم العذاب ﴿ ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾ فلا عليكم من قوة الكافرين، فأنتم أقوياء بإيمانكم.

الدرس الخامس
(آداب الاستئذان)
٦٤/٥٨
مدة الحفظ: (يومان)

يعود هذا الدرس للحديث آداب الاستئذان في داخل البيوت، إلى جانب عن الاستئذان من مجلس الرسول ﷺ:

٥٨ ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم... ﴾ وهم العبيد والإماء ﴿ والذين لم يبلغوا الحلم منكم ﴾ وهم الأطفال الذكور والإناث ﴿ ثلاث مرات ﴾ ثلاث أوقات في اليوم والليلة وقيل المراد: ثلاثة استئذانات كلما استأذنوا، أي لا يزيد على ثلاث ﴿ من قبل صلاة الفجر ﴾ لأنه وقت القيام عن المضاجع، وطرح ثياب النوم ﴿ وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ﴾ وذلك عند انتصاف النهار، فإنهم قد يتجردون عن الثياب لأجل القيلولة ﴿ ومن بعد صلاة العشاء ﴾ وذلك وقت التجرد عن الثياب والخلوة بالأهل ﴿ ثلاث عورات لكم ﴾ وسماها ﴿ عورات ﴾ لانكشاف العورات فيها. وفي هذه الأوقات الثلاثة لابد أن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم. وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية.

ويعقب على الآية بقوله ﴿ والله عليم حكيم ﴾ لأن المقام مقام علم الله، ومقام حكمته.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٥٩ ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم...﴾ كما استأذن الذين من قبلهم من الكبار. ويعقب على الآية بنفس التعقيب في الآية السابقة ﴿والله عليم حكيم﴾.

ولقد سبق الأمر كذلك بإخفاء زينة النساء منعًا لإثارة الفتن والشهوات. فعاد يستثنى من النساء القواعد وهن العجائز:

٦٠ ﴿والقواعد من النساء...﴾ العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر ﴿اللاتي لا يرجون نكاحًا﴾ أي: لا يطمعن فيه لكبرهن ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ إذ لا رغبة للرجال فيهن وهي الثياب التي تكون على ظاهر البدن، لا الثياب التي على العورة ﴿غير متبرجات بزينة﴾ أي غير مظهرات للزينة ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾ وهذا الأفضل أن لا يضعن ثيابهن ﴿والله سميع عليم﴾ كثير السماع والعلم بليغهما.

ثم يمضي في تنظيم العلاقات والارتباطات بين الأقارب والأصدقاء.

٦١ ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج﴾ روي أنهم كانوا يأكلون من هذه البيوت المذكورة - دون استئذان- ويستصحبون معهم العمي والعرج والمرضى ليطعموهم... الفقراء منهم... فتحرجوا أن يطعموا وتحرج هؤلاء أن يصحبوهم دون دعوة من أصحاب البيوت أو إذن.

فقد كانت حساسيتهم مرهفة. فكانوا يحذرون دائما أن يقعوا فيما نهى الله عنه، فأنزل الله هذه الآية، ترفع الحرج عن الأعمى والمريض والأعرج، وعن القريب أن يأكل من بيت قريبه وأن يصحب معه أمثال هؤلاء. لمحويح ولأن الآية آية تشريع، فنلحظ فيها دقة الأداء اللفظي والترتيب الموضوعي، كما تلمح فيها ترتيب القرابات. فهي تبدأ ببيوت الأبناء والأزواج ولا تذكرهم بل تقول الآية ﴿من بيوتكم﴾ فيدخل فيها بيت الإبن وبيت الزوج، فبيت الإبن بيت لأبيه، وبيت الزوج بيت لزوجته، وتليها بيوت الآباء، فبيوت الأمهات. فبيوت الإخوة.

فبيوت الأخوات. فبيوت الأعمام، فبيوت العمات فبيوت الأخوال، فبيوت الخالات.. ويضاف إلى هذه القرابات الخازن على مال الرجل فله أن يأكل مما يملك مفاتحه بالمعروف ولا يزيد على حاجة طعامه. ويلحق به بيوت الأصدقاء. ليلحق صلتهم بصلة القرابة. عند عدم التأذى والضرر فقد يسر الأصدقاء أن يأكل أصدقاؤهم من طعامهم دون استئذان.

ثم يبين الحالة التي يجوز عليها الأكل: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا﴾ فقد كان من عادات بعضهم في الجاهلية ألا يأكل طعامًا على انفراد. بعد ذلك يبين آداب دخول البيوت التي يؤكل فيها ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ وهكذا ترتبط قلوب المؤمنين بربهم في الصغيرة والكبيرة ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ وتدركون ما في لمنهج الإلهي من حكمة ومن تقدير.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ
أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ۖ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا
﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

وينتقل السياق إلى تنظيم العلاقات بين الأسرة الكبيرة... أسرة المسلمين... ترئيسها وقائدها محمد ﷺ:

٦٢ ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله...﴾ لا الذين يقولون بأفواههم ثم لا يحققون مدلول قولهم، ولا يطيعون الله ورسوله. ﴿وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ والأمر الجامع هو الأمر الهام الذى يقتضى اشتراك الجماعة فيه، سرأى أو حرب أو عمل من الأعمال النافعة. فلا يذهب المؤمنون حتى يستأذنوا إمامهم ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت﴾ فيدع له الرأى إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن، فيرفع الحرج عن عدم الإذن.

٦٣ ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا...﴾ عن ابن عباس: كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظامًا لنبيه ﷺ وقوله ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا﴾ قال مقاتل بن حيان: هم المنافقون كان يثقل عليهم الحديث فى يوم الجمعه، ويعنى بالحديث الخطبة، فيلوذون ببعض أصحاب محمد ﷺ حتى يخرجوا من المسجد، وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد إلا بإذن من النبى ﷺ فى يوم الجمعة، وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشار بأصبعه إلى النبى ﷺ فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل كان الرجل منهم إذا تكلم والنبى يخطب بطلت جمعته. وقوله ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أى عن أمر رسول الله ﷺ هو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أى فى قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أى فى الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك.

سورة الفرقان

الدرس الأول

(المشركون وتطاولهم على الله ورسوله)

٢٠/١

مدة الحفظ: يومان

١/ ٢ ﴿تبارك الذي نزل الفرقان...﴾ والتبارك البركة الكثيرة من كل خير. وقال الفراء: إن ﴿تبارك﴾ و (تقدس) فى العربية واحد، ومعناها: العظمة والفرقان: القرآن، يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال، وفى موضع التكريم لرسوله ﷺ يصفه بالعبودية ﴿على عبده﴾ ويرسم الغاية من تنزيل الفرقان ﴿ليكون للعالمين نذيرا﴾ منذرًا للإنس والجن ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ دون غيره ﴿ولم يتخذ ولدا﴾ فيه رد على النصارى واليهود ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ فيه رد على طوائف المشركين من الوثنية وأهل الشرك الخفى ﴿وخلق كل شيء﴾ من الموجودات ﴿فقدره تقديرا﴾ بحكمته علي ما أراد، وهيأه لما يصلح له وقدر له تقديرا من الأجل والرزق.

معانى الكلمات:

يتسللون منكم: يخرجون منكم تدريجا فى خفية.

لواذا: يستتر بعضهم ببعض فى الخروج

يخالفون عن أمره: يعرضون أو يصدون عنه

فتنة: بلاء ومحنة فى الدنيا.

فقدره: فهيأه لما يصلح له ويليق به.

وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ
ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟
مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ
لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ
إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

٣ ﴿واتخذوا من دونه آلهة...﴾ أى: اتخذ المشركون لأنفسهم آلهة غير الله تعالى. ويجرد كهتهم المدعاة من كل خصائص الألوهية فهم ﴿لا يخلقون شيئا﴾ والله خلق كل شئ ﴿وهم يخلقون﴾... يخلقهم عبادهم - بمعنى يصنعونهم- ويخلقهم الله بمعنى يوجدهم ﴿ولا يملكون لأنفسهم﴾ فضلا عن أن يملكوا لعبادهم ﴿ضرا ولا نفعا﴾ والذى لا يملك لنفسه النفع قد يسهل عليه الضر. ﴿ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾ فماذا لهم بعد ذلك من خصائص الألوهية؟

٤ ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه...﴾ فهذا القرآن نوع من الكذب اختلقه محمد من عند نفسه ﴿وأعانه عليه﴾ أي: على الاختلاق والافتراء ﴿قوم آخرون﴾ يعنون بعض اليهود والنصارى ﴿فقد جاءوا ظلما وزورا﴾ ظلما هائلا عظيما وكذبا ظاهرا.

٥ ﴿وقالوا أساطير الأولين...﴾ أى قالوا: إن هذا القرآن أحاديث الأولين وما سطروه من الأخبار والخرافات ﴿اكتتبها﴾ أي: استكتبها من أناس آخرين ﴿فهي تملى عليه﴾ ليحفظها من أفواه من يمليها عليه ﴿بكرة وأصيلا﴾ غدوة وعشيا. وقيل المعني: دائما في جميع الأوقات.

٦ ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ ولكن باب التوبه مفتوح، والرجوع عن الإثم ممكن ﴿إنه كان غفورا رحيما﴾ لا يعجل عليكم بعقوبة، لأنه كثير المغفرة والرحمة.

٧/٨ ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق...﴾ ماله بشرًا يتصرف تصرفات البشر؟ وهم يرونه واحدًا منهم من لحم ودم. وهو لا يوحى إليهم ﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا﴾ طلبوا أن يكون مصحوبًا بملك يعضده ويساعده ويصدقه ويشهد له بالرسالة ﴿أو يلقى إليه كنز﴾ وهذا اقتراح ثان ليستغنى به عن طلب الرزق ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ أي بساتين ليكون له بذلك مزية علينا ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ مغلوبا على عقله بالسحر وهي كلمة ظالمة فاحشة.

٩ ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال...﴾ ليتوصلوا بها إلى تكذيبك، والأمثال: هى الأقوال النادرة والاقتراحات الغريبة ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ إلى القدح في نبوة هذا النبي الكريم.

١٠ ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك...﴾ الذى اقترحوه ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا﴾ القصر: البيت من الحجارة، وبيت الطين.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك﴾ عن ابن عباس قال: لما عير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقه وقالوا: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق) حزن رسول الله ﷺ فنزل جبريل عليه السلام- من عند ربه معزيًا له. ثم جاء من بعد ذلك رضوان خازن الجنة يعرض عليه مفاتيح خزائن الدنيا. فتواضع رسول الله ﷺ وقال: الفقر أحب إلى وأن أكون عبدًا صابرا. وقد أراه جبريل بعد ذلك منازله فوق منازل الأنبياء فى الجنة.

١١ ﴿بل كذبوا بالساعة...﴾ وهذا التكذيب يجعلهم لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ أى نارًا مشتعلة متسعرة يعذب فيها.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ
أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى
هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ
يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

١٢/١٤ ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا..﴾ فالنار هنا تنظر فترى أولئك المكذبين بالساعة تراهم من بعيد فإذا هي تتغيظ وتزفر فيسمعونها وهي تتحرق عليهم ﴿وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا﴾ ووصف المكان بالضيق للدلالة على زيادة الشدة وتناهي البلاء ﴿مقرنين﴾ قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالجوامع مصفدين بالحديد ﴿دعوا هنالك ثبورا﴾ فالهلاك أمنية المتمنى، والمنفذ الوحيد للخلاص من هذا الكرب الذي لا يطاق. ثم ها هم أولاء يسمعون جوب الدعاء. يسمعون تهكمًا ساخرًا مريرًا ﴿لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا﴾ فهلاك واحد لا يجدي شيئا ولا يكفي شيئا وفي هذا الموقف المكروب يعرض ما أعد للمتقين: يعرض في أسلوب تهكم كذلك ساخر.

١٦/١٥ ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون...﴾ أذلك الكرب الفظيع خير؟ أم جنة الخلد التي وعدها الله للمتقين ﴿لهم فيها ما يشاءون﴾ من النعيم ﴿كان على ربك وعدا مسئولا﴾ يسألونه الوفاء به وهو مجيبهم إليه.

ثم يمضي مستطردًا يعرض مشهدًا آخر من مشاهد الساعة:

١٨/١٧ ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله..﴾ قد يكونون هم الأصنام. وقد يكونون هم الملائكة والجن.

﴿فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ أكان ضلالهم بدعوتكم لهم إلى عبادتك، أم هم ضلوا عن سبيل الحق بأنفسهم إذ عبدوكم. والجواب هو الإنابة من هؤلاء (الآلهة) الإنابة لله الواحد القهار. وتنزيهه عن ذلك الافتراء ﴿قالوا سبحانك﴾ للتعجب مما قيل لهم ﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ أي ما ينبغي لأحد أن يعبدنا فإنا عبيد لك فقراء إليك، ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ أي طال عليهم العمر حتى نسوا الذكر، أي نسوا ما أنزلته إليهم على ألسنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك ﴿وكانوا قوما بورا﴾ أي: لا خير فيهم.

وقال الله سبحانه مخاطبًا المشركين:

١٩ ﴿فقد كذبوكم بما تقولون...﴾ ما قد كذبكم المعبودون في قولكم إنها آلهة ﴿فما تستطيعون صرفا﴾ أي صرفًا للعذاب الذي عذبهم الله به ﴿ولا نصرا﴾ ولا يجدون أحدًا ينصرهم من عذاب الله.

ثم يعود السياق إلى الرسول ﷺ ليواسيه ويسليه:

٢٠ ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ أي: لأنهم بشر لا يستغنون عن حاجتهم البشرية، أي: فكذلك أنت يا محمد، فليس ذلك ما نعًا من أن تكون رسولاً من عند الله، فلماذا يقولون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ أي اختبرنا بعضكم ببعض، وبلونا بعضكم ببعض، لنعلم من يطيع ومن يعصي، ولهذا قال: ﴿أتصبرون وكان ربك بصيرا﴾ فليثبت من يثبت على هذا الابتلاء وكان ربك بصيرًا بالطبائع والقلوب والمصائر والغايات.

معاني الكلمات:

تغيظًا: صوت غليان كصوت المتغيظ

نسوا الذكر: غافلين عن دلائل الوحدانية

قومًا بورا: هالكين. أو فاسدين

صرفًا: دفعًا للعذاب.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

الدرس الثانى:
(تطاول المشركين. ومشاهد القيامة)
٤٤/٢١

مدة الحفظ: يومان.

٢١ ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا... ﴾ فقد كانوا يستبعدون أن يكون الرسول بشرًا وكانوا يطلبون لكى يؤمنوا أن تنزل عليهم الملائكة، أو أن يروا الله سبحانه وتعالى عيانا فيخبرهم بأن محمدًا رسول من عنده ﴿ لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوًا كبيرا ﴾ لقد استكبروا وطغوا طغيانا كبيرًا.

٢٢/٢٣ ﴿ يوم يرون الملائكة... ﴾ ولكنها رؤية عند الموت أو عند الحشر ﴿ لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ ففى هذا الوقت قد حرمهم الله فيه البشرى ﴿ ويقولون حجرا محجورا ﴾ أى حرامًا وهى جملة اتقاء للشر وللأعداء كانوا يقولونها استبعادًا لأعدائهم وتحرز من أذاهم ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ فإذا كل ما عملوا فى الدنيا من عمل صالح هباء.

٢٤ ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا... ﴾ أى أفضل منزلا فى الجنة ﴿ وأحسن مقيلا ﴾ مستقرون مستروحون ناعمون فى الظلال.

وهنا يرسم مشهدًا آخر يوم يتحقق اقتراحهم بنزول الملائكة إليهم:

٢٥/٢٦ ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام... ﴾ وهذه الآية وغيرها فى القرآن يقرر أن حدثا فلكية ضخمة ستتم فى ذلك اليوم، وفى هذا اليوم تتشقق السماء بالغيوم وأنزلت الملائكة بصحائف أعمال العباد ﴿ ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ جماعة منهم بعد جماعة ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ الملك المطلق فى ذلك اليوم للرحمن وهو يوم على الكافرين شديد، لما ينالهم فيه من العقاب.

٢٧/٢٩ ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه... ﴾ فلا تكفيه يد واحدة يعض عليها ﴿ يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ﴾ فسلكت طريقة، لم افارقه، ولم أضل عنه ﴿ يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا ﴾ ويشمل كل صاحب سوء يصد عن سبيل الرسول ويضل عن ذكر الله ﴿ لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى ﴾ لقد كان شيطانًا يضل، أو كان عونًا للشيطان ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾ بعد أن جعله مضلاً.

٣٠ ﴿ وقال الرسول يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴾ لقد هجروا القرآن الذى نزله الله على عبده لينذرهم ويبصرهم. وإن ربه ليعلم، ولكنه دعاء يشهد به ربه على أنه لم يأل جهدًا، ولكن قومه لم يستمعوا لهذا القرآن.

٣١ ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوًا من المجرمين... ﴾ فلا تجزع يا محمد فإن هذا دأب الأنبياء قبلك، واصبر كما صبروا ﴿ وكفى بربك هاديا ونصيرا ﴾ يهدى عباده، وينصرهم على الأعداء، أى فكذلك سوف يصنع الله لك.

٣٢ ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة... ﴾ قال الكافرون هلا نزل هذا القرآن دفعة واحدة ولم ينزل حسب الحوادث وغفلوا أننا نزلناه مفرقا حسب الحوادث الطارئة ﴿ لنثبت به فؤادك ﴾ حيالها ولذلك فرقناه تفريقا ﴿ ورتلناه ترتيلا ﴾ أى: آية بعد آية.

فيسليه ربه ويعزيه. فتلك هى السنة الجارية قبله فى جميع الرسالات:

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى
ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ
ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ
ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ
كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ
مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ۖ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

ويمضى فى تثبيت الرسول ﷺ وتطمينه على إمداده بالحجة البالغة:

٣٣ ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق...﴾ إنهم ليجادلون بالباطل، والله يرد عليهم باطلهم بالحق الذى يدمغه ﴿وأحسن تفسيرا﴾ الواضح الذى لا يتلبس به الباطل.

٣٤ ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم...﴾ ومشهد الحشر على الوجوه فيه من الإهانة والتحقير والانقلاب، ما يقابل التعالى والاستكبار والإعراض عن الحق. وهو مشهد يل كبرياءهم ويزلزل عنادهم ﴿أولئك شر مكانا وأضل سبيلا﴾ ذم لهم لدعواهم على رسول الله.

ثم يجول بهم جولة فى مصارع المكذبين من السابقين:

٣٥/ ٤٠ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾ إنها أمثلة مختصرة سريعة ترسم مصائر المكذبين فهذا موسى يؤتى الكتاب ويرسل معه أخوه هارون وزيرًا ومعينا. ويؤمر بمواجهة ﴿القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ ذلك أن فرعون وملأه كانوا مكذبين بآيات الله. وترسم الآية مصيرهم ﴿فدمرناهم تدميرا﴾

وهؤلاء قوم نوح ﴿لما كذبوا الرسل أغرقناهم﴾ وهم كذبوا نوحا وحده، فلما كذبوه كانوا قد كذبوا الرسل جميعا ﴿وجعلناهم للناس آية﴾ فإن آية الطوفان لا تنسى على الدهر. وعاد وثمود وأصحاب الرس والقرون الكثيرة بين ذلك ومن القرية التى أمطرت مطر السوء -وهى قرية لوط- كلها تسير سيرة واحدة وتنتهى نهاية واحدة ﴿وكلا ضربنا له الأمثال﴾ للعظة والاعتبار ﴿وكلا تبرنا تتبيرا﴾ وكانت عاقبة التكذيب هى التحطم والتفتيت والدمار.

وينتهى السياق بمصرع قوم لوط وهم يمرون عليه فى سدوم فى رحلة الصيف إلى الشام. وقد أهلكها الله بمطر بركانى من الأبخرة والحجارة فدمرها تدميرا. ويقرر فى نهايته أن قلوبهم لا تعتبر ولا تتأثر لأنهم لا ينتظرون البعث ﴿بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ وذلك هو السبب فى عدم اتعاظهم.

٤١ ﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا...﴾ أى بدل الإيمان بك والتفكر فيما جئتهم به ينصرفون إلى السخرية قائلين ﴿أهذا الذى بعث الله رسولا﴾.

٤٢ ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا...﴾ أى: إنه قد كاد أن يصرفنا عن آلهتنا فنترك عبادتها ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ أى: حبسنا أنفسنا على عبادتها، ولم نُطعْهُ فى اجتنابها ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ الذى يستحقونه ويستوجبونه بسبب كفرهم ﴿من﴾ هو ﴿أضل سبيلا﴾ أى: أبعد طريقا عن الحق والهدى، أهم أم المؤمنون؟

ويلتفت الخطاب إلى رسول الله ﷺ يعزيه عن عنادهم:

٤٣ ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه...﴾ أطاع هواه طاعة كطاعة الإله، لا يهوى شيئا إلا اتبعه ﴿أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ حفيظا وكفيلا حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من الكفر ولست تقدر على ذلك ولا تطيقه، وإنما عليك البلاغ.

معانى الكلمات:

فدمرناهم: فأهلكناهم.

وأصحاب الرس: البئر -قتلوا نبيهم ودسوه فيها.

لا يرجون نشورا: لا يتوقعون بعثا.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ
الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

٤٤ ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون...﴾ لأن قلة منهم كانت تجنح إلى الهدى.

الدرس الثالث
(جولة في مشاهد الكون)
٦٣/٤٥

مدة الحفظ: يوم واحد.

٤٥ ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل...﴾ والظل يتحرك مع حركة الأرض في مواجهة الشمس ﴿ولو شاء لجعله ساكنا﴾ ولو كانت الأرض ثابته لسكن الظل فوقها لا يمتد ولا يقبض ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ لأن الظل يزيد بها وينقص، ويمتد وينقلص.

٤٦ ﴿ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا﴾ فإذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضا وخلفه في الجو شعاع الشمس ﴿قبضا يسيرا﴾ على تدريج، قليلاً بقدر ارتفاع الشمس.

٤٧ ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسا...﴾ والليل يستر الأشياء والأحياء فتبدو هذه الدنيا وكأنها تلبس الليل وتتشح بظلامه فهو ﴿لباسا﴾ والنوم انقطاع عن الحس والوعي والشعور. فهو ﴿سباتا﴾ ثم يتنفس الصبح تنبعث الحركة، وتدب الحياة في النهار.

فهو ﴿نشورا﴾ من ذلك الموت الصغير.

٤٨ ﴿وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته...﴾ هو لا غيره من الآلهة الباطلة. أي: أرسل الرياح مبشرات بالمطر متقدمة عليه وهو الرحمة وهي بين يديه ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾ لا يأتي ماء السماء على شيء متنجس إلا طهره ﴿لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا﴾ فيلقى على الحياة ظلا خاصا. ظل الطهارة فالله سبحانه أراد الحياة طاهرة نقية وهو يغسل وجه الأرض بالماء الطهور.

٤٩ ﴿لنحيي به بلدة ميتا...﴾ نحييها بالماء وبإخراج النبات من المكان الذي لا نبات فيه ﴿ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا﴾ أي نسقي ذلك الماء. والأناسي: جمع إنسان.

٥٠/٥٢ ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا...﴾ ليتفكروا ويعتبروا ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا﴾ أي: رسولا ينذرهم. كما قسمنا المطر بينهم ﴿فلا تطع الكافرين﴾ بل اجتهد في الدعوة واثبت فيها ﴿وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾ واتل عليهم ما فيه لتهتز قلوبهم هزا ويزلزل أرواحهم زلزالاً كبيرا.

٥٣ ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات...﴾ أي أرسلها وأفاض أحدهما إلى الآخر. فالفرات: الماء الشديد العذوبة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي بليغ الملوحة ﴿وجعل بينهما برزخا﴾ البرزخ: الحاجز بينهما ويمنعهما التمازج ﴿وحجرا محجورا﴾ سترا مستورا يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر.

٥٤ ﴿وهو الذي خلق من الماء بشرا...﴾ من ماء النطفة خلق إنسانا ﴿فجعله نسبا وصهرا﴾ فهو ابتداء أمره ولد نسيب، ثم يتزوج فيصير صهرا. ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات وكل ذلك من ماء مهين ﴿وكان ربك قديرا﴾.

٥٥ ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم...﴾ إن عبدوه ﴿ولا يضرهم﴾ إن يتركوه ﴿وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ
خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ
أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ
فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ
شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ
لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

٥٦ ﴿وما أرسلناك إلا مبشرًا ونذيرًا﴾ أي: بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين. مبشرًا بالجنة لمن أطاع الله ونذيرا بين يدى عذاب شديد لمن خالف أمر الله.

٥٧ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر...﴾ ما أسألكم عليه من القرآن من أجر، أو على تبليغ الرسالة ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا﴾ لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل.

٥٨ ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت...﴾ الحى هو الذى يوثق به فى المصالح، ولا حياة على الدوام إلا الله سبحانه ﴿وسبح بحمده﴾ أي: نزهه عن صفات النقصان ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيرا﴾ الخبير المطلع على الأمور.

٥٩ ﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما...﴾ والأيام الستة التى خلق فيها السموات والأرض لا يعلم مقدارها إلا هو. أما الاستواء على العرش فهو معنى الاستعلاء والسيطرة. ومع الاستعلاء والسيطرة والرحمة الكبيرة الدائمة ﴿الرحمن﴾ ومع الرحمة الخبرة ﴿فاسئل به خبيرا﴾ الخبرة المطلقة التى لا يخفى عليها شئ فإذا سألت الله، فإنما تسأل خبيرا.

٦٠ ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن...﴾ أي: لا نعرف الرحمن ولا نقر به ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ أى لمجرد قولك ﴿وزادهم نفورا﴾ نفورًا عن الدين وبعدًا عنه. ويرد على تطاولهم هذا بتمجيد الله:

٦١ ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا...﴾ والبروج منازل الكواكب السيارة ومداراتها الفلكية الهائلة وسميت بروجا: وهى القصور العالية ﴿وجعل فيها سراجا﴾ أى شمسًا متقدة ﴿وقمرا منيرا﴾ ينير الأرض إذا طلع، لكنه غير متقد.

٦٢ ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة...﴾ أحدهما يخلف الآخر ﴿لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾ وعن ابن عباس: يقول فى الآية: من فاته شئ من الليل أن يعمله أدركه بالنهار أو من النهار أدركه بالليل.

الدرس الخامس
(صفات عباد الرحمن)
٦٣/٧٧

مدة الحفظ: يومان.

٦٣/٦٧ ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا...﴾ الهون: السكينة والوقار دون تكبر ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ فلا يجهلون مع من يجهل وهذا السلام هو: سلام المتاركة، لا خير فيها ولا شر. ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ إنهم يقضون ليلهم سجدًا على وجوههم، وقيامًا على أقدامهم، فى الصلاة والتهجد ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما﴾ أى لازم دائم ﴿إنها ساءت مستقرا ومقاما﴾ أي: بئس المستقر النار، وبئس مكان الإقامة هى ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ وهذه هى سمة الإسلام أيضا ينظم هذا الجانب، فيجعل الاعتدال سمة من سمات الإيمان ﴿وكان بين ذلك قواما﴾

معانى الكلمات:

استوى على العرش: استواء يليق بكماله

وزادهم نفورا: تباعدًا عن الإيمان

كان غراما: لازما أو ممتدًا كلزوم الغريم.

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ
ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّو۟ا بِٱللَّغْوِ
مَرُّو۟ا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُو۟ا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّو۟ا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُو۟ا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى
لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٦٨ ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر...﴾ لا يصرفون الدعاء لغير الله فيتخذوه ربا من الأرباب ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ أي حرم قتلها ﴿إلا بالحق﴾ أي: بما يحق أن تقتل به النفوس وهي: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس ﴿ولا يزنون﴾ لا يستحلون الفروج المحرمة بغير زواج، ولا ملك يمين ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي: شيئا مما ذكر ﴿يلق﴾ في الآخرة ﴿أثاما﴾ والآثام العقاب.

٦٩ ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة...﴾ أي: يكرر عليه ويغلظ ﴿ويخلد فيه مهانا﴾ أي حقيرا ذليلا.

٧٠ ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا...﴾ أي: جزاؤه على ما فعل من هذه الصفات القبيحة ما ذكر ﴿إلا من تاب﴾ في الدنيا إلى الله عز وجل من جميع ذلك، فإن الله يتوب عليه ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ يمحو عنهم المعاصي ويثبت لهم مكانها طاعات.

٧١ ﴿ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا﴾ أي: من تاب عما اقترف وعمل عملاً صالحا بعد ذلك، فإنه يرجع إلى الله رجوعًا صحيحًا قويًا. وهو الذي حقق توبته بالأعمال الصالحة.

٧٢ ﴿والذين لا يشهدون الزور...﴾ أي لا يشهدون الشهادة الكاذبة، أو لا يحضرون الزور ولا يشاهدونه، والزور هو الكذب والباطل ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ أي: معرضين عنه.

٧٣ ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم...﴾ أي بالقرآن، أو بما فيه من موعظة وعبرة ﴿لم يخروا عليها صما وعميانا﴾ ولكنهم أكبوا عليها، سامعين مبصرين، وانتفعوا بها.

٧٤ ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين...﴾ أي: اجعلهم لنا موضع سرور بتوفيقنا وإياهم لطاعتك.

وقرة العين برد دمعها، لأنه دليل السرور والضحك ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ أي: قدوة يقتدى بنا في الخير.

٧٥ ﴿أولئك يجزون الغرفة...﴾ الغرفة: الدرجة الرفيعة، وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها ﴿بما صبروا﴾ بسبب صبرهم على مشاق التكليف ﴿ويلقون فيها تحية وسلاما﴾ يحيي بعضهم بعضا، ويرسل إليهم الرب سبحانه بالسلام، والملائكة تحييهم وتسلم عليهم، وتدعو لهم بالسلامة من الآفات.

٧٦ ﴿خالدين فيها...﴾ مقيمين فيها من غير موت ﴿حسنت مستقرا ومقاما﴾ أي: حسنت الغرفة مستقرًا يستقرون فيه، ومقامًا يقيمون به، وهذا مقابل ما تقدم من قوله: ساءت مستقرًا ومقاما.

٧٧ ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم...﴾ بين سبحانه أنه غني عن طاعة الكل. أي: أي مبالاة يبالي بكم لولا أنكم تدعونه وتعبدونه ﴿فقد كذبتم﴾ بالتوحيد ﴿فسوف يكون لزاما﴾ أي فسوف يكون جزاء التكذيب لازما لكم. والمراد: ما لزم المشركين يوم بدر، وقيل: هو عذاب الآخرة.

معاني الكلمات:

لم يخروا: لم يسقطوا ولم يقعوا

ما يعبأ بكم: ما يكترث وما يبالي بكم.

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

سورة الشعراء:

(الدرس الأول)

المقدمة

من الآية رقم ١/١٩

مدة الحفظ: يوم واحد.

١/٢ ﴿طسم ﴿١﴾ تلك آيات الكتاب المبين﴾ القرآن البين الظاهر معانيه.

٣ ﴿لعلك باخع نفسك...﴾ باخع: أى قاتل نفسك ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ وهذا يصور مدى ما كان يعانيه رسول الله ﷺ من تكذيبهم.

٤ ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية..﴾ أى: معجزة تلجئهم إلى الإيمان.

ولكنهم لم يفطنوا إلى هذه الحكمة فكان يعرضون عما يتنزل عليهم:

٥ ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾ فهم يعرضون عن الرحمة التى تتنزل عليهم ويرفضونها.

٦ ﴿فقد كذبوا...﴾ أى بالذكر الذى يأتيهم، تكذيبًا صريحًا، ولم يكتفوا بمجرد الإعراض، ﴿فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون﴾ والأنباء: هو ما يستحقونه من العقوبة آجلا وعاجلاً، جزاء استهزائهم.

٧/٩ ﴿أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم...﴾ ومعجزة إخراج النبات الحى من الأرض، وجعله زوجًا ذكرًا وأنثى، تتكرر حولهم فى كل لحظة ﴿أولم يروا﴾ والأمر لا يحتاج إلى أكثر من رؤية ﴿إن في ذلك لآية﴾ وهى دلالة بينة على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى

﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أى سبق علمى فيهم أنهم سيكونون هكذا ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾.

الدرس الثانى

(قصة موسى عليه السلام)

من الآية رقم ٦٨/١٠

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

١٠/١٧ ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين﴾ ﴿قوم فرعون ألا يتقون﴾ وهذا هو المشهد الأول: مشهد التكليف بالرسالة وهو يبدأ بإعلان صفة القوم ﴿القوم الظالمين﴾ جمعوا بين الكفر الذى ظلموا به أنفسهم، وبين المعاصى التى ظلموا بها غيرهم ﴿ألا يتقون﴾ ألا يخافون عقاب الله سبحانه وتعالى.

﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون﴾ أى: يكذبوا بالرسالة ﴿ويضيق صدري﴾ وهذا سبب خوفه ﴿ولا ينطلق لساني﴾ بتأدية الرسالة ﴿فأرسل إلى هرون﴾ ليكون معي رسولاً مؤازرًا معاونا ﴿ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ وهو قتله للقبطى فخاف أن يقتلوه به ﴿قال كلا فاذهبا بآياتنا﴾ أى أنت وأخوك ولا تخف من القبط ﴿إنا معكم مستمعون﴾ أراد سبحانه تقوية قلوبهما وأنه متول لحفظهما ونصرهما ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ وقيل إن كل واحد منا رسول رب العالمين ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ هذا مضمون الرسالة. أى: أطلقهم من خدمتك وحصرك ليخرجوا معى من مصر.

١٩/١٨ ﴿قال ألم نربك فينا وليدا﴾ ربيناك صغيرا، ولم نقتلك فيمن قتلنا من الأطفال ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ أى: فمتى كان هذا الذى تدعيه من أمر النبوة ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ عدد عليه النعم، ثم ذكر له ذنوبه وأراد بالفعلة قتل القبطى ﴿وأنت من الكافرين﴾ للنعمة، حيث قتلت رجلاً من أصحابى.

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

٢٠/٢٢ ﴿قل فعلتها إذا وأنا من الضالين...﴾ أي: من الجاهلين قبل أن يأتيه العلم الذي علمه الله ﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ إلى مدين ﴿فوهب لي ربي حكما﴾ أي: نبوة، أو علما ﴿وجعلني من المرسلين﴾ أي: أكرمني بأن جعلني أحد أنبيائه لمرسلين ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾ أتمن علي أن ربيتني وليدا وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلهم وهم قومي. مما اضطر أمي أن تلقيني في التابوت، فتقذف بالتابوت في الماء.

٢٦/٢٣ ﴿قال فرعون وما رب العالمين...﴾ أي: أي شئ هو؟ ﴿قال﴾ موسى هو ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ فأجابه بما يدل على القدرة الإلهية ﴿إن كنتم موقنين﴾ بشئ من الأشياء ﴿قال﴾ فرعون ﴿لمن حوله ألا تستمعون﴾ معجبا لهم من ضعف المقالة. وهذا من اللعين مغالطة. ﴿قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ وهجم بها موسى على فرعون بصفة أخرى من صفات رب العالمين.

ويرمي فرعون موسى في تهكم بالجنون:

٢٧ ﴿قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ ليوقعهم في الحيرة مظهرا أنه مستخف بما قاله موسى وكأنه يقول أن أسأله عن شئ وهو يجيبني بغيره.

ويمضي موسى في طريقه يصدع بكملة الحق:

٢٨ ﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما...﴾ وموسى يدعوهم إلى التدبر والتفكر بهذين المشهدين المعروضين للأنظار كل يوم ولاتنتبه إليها القلوب لكثرة تكرارها وشدة ألفتها ﴿إن كنتم تعقلون﴾ أنت يا فرعون ومن معك من أهل العقول.

وهنا ينهى فرعون الحوار مع موسى بالتهديد الغليظ باليطش الصريح:

٢٩ ﴿قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ وهو هنا رجع لاستخدام القوة لإكراه موسى على ترك رسالته.

غير أن التهديد لم يفقد موسى رباطة جأشه:

٣٠/٣٣ ﴿قال أو لو جئتك بشيء مبين﴾ يبين لك صدق دعواي؟ قال: هاته إن كنت من الصادقين. فالقى عصاه فإذا هي ثعبان، وأخرج يده من تحت إبطه فإذا هي بيضاء تتلألأ نورا.

وقد أحس فرعون بضخامة المعجزة وقوتها، فأسرع يقاومها ويدفعها:

٣٤/٣٧ ﴿قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم...﴾ يريد أن يخرجكم من دياركم بسحره فماذا تشيرون به علي؟ قالوا أرجئه وأخاه لوقت آخر وابعث في المدائن من يجمع لك السحرة الماهرين.

وهنا يسدل الستار على هذا المشهد ليرفع على مشهد السحرة يحشدون:

٣٨/٣٩ ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ هو يوم الزينة أي: يوم عيدهم ﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾ ليشاهدوا ما يكون من موسى والسحرة.

معاني الكلمات:

عبدت بني إسرائيل: اتخذتهم عبيدا لك

أرجه وأخاه: أخر أمرهما ولا تعجل بعقوبتهما.

هل أنتم مجتمعون: حث على الاجتماع واستعجال لهم.

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا
أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

٤٠ ﴿لعلنا نتبع السحرة...﴾ نتبعهم في دينهم ﴿إن كانوا هم الغالبين﴾ أظهروا كأنهم على الحياد استخفافا بعقول قومهم.

ثم يجئ مشهد السحرة بحضرة فرعون قبل المباراة:

٤١/ ٤٢ ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا...﴾ أى جزاء تجزينا به من مال أو جاه ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ فوافقهم فرعون على ذلك ﴿قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين﴾ أى: نعم لكم ذلك عندى مع زيادة عليه، وهى كونكم من المقربين لدىّ -أغراهم بالمناصب.

٤٣/ ٥١ ﴿قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ أراد أن يقهرهم بالحجة، ويظهر لهم أن ما جاء به ليس من الجنس الذى أرادوا معارضته. وبدأوا الجولة باسم فرعون وعزته ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا﴾ عند الإلقاء ﴿بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾ والمراد بالعزة العظمة ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ ووقعت المفاجأة المذهلة التى لم يكن يتوقعها كبار السحرة. عندئذ لا يملكون أنفسهم من الإذعان للحق الواضح الذى لا يقبل جدلا.

﴿فألقي السحرة ساجدين﴾ لأنهم علموا بعدما شاهدوا أنه صنع صانع حكيم، ليس من صنيع البشر، فآمنوا بالله وسجدوا له، وأجابوا دعوة موسى وقبلوا نبوته ﴿قالوا آمنا برب العالمين (٤٧) رب موسى وهرون﴾ فيه تبكيت لفرعون بأنه ليس برب، وأن الرب فى الحقيقة هو هذا وأنه رب العالمين ﴿قال﴾ فرعون ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ وجن جنونه ولجأ إلى التهديد البغيض بالعذاب والنكال ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ وكأنه اعتراف بأن موسى كبيرهم ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أى اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو عكسه ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ إنها الحماقة التى يرتكبها كل طاغية، حينما يحس بالخطر على عرشه أو شخصه.

أما كلمة الفئة المؤمنة التى رأت النور: ﴿قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون﴾ أى: لا ضرر علينا ولكن فى هذه الأرض ما يكون فالمطمع الذى نرجوه ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ جزاء ﴿أن كنا أول المؤمنين﴾... وأن كنا نحن السابقين...

٥٢/ ٦٠ ﴿وأوحينا إلى موسى...﴾ أن اخرج ببنى إسرائيل من مصر ليلاً وإن قوم فرعون لمقتفون لآثاركم ليمنعوكم. وأرسل فرعون بعد هزيمة السحرة فى المدائن حاشدين للجيوش، قائلا: إن بنى إسرائيل لطائفة قليلة العدد ﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ وقد أتت ما سبب لنا الغيظ ﴿وإنا لجميع حاذرون﴾ فلا بد من إبادتهم قبل أن يتفاقم شرهم ويفتنوا الناس بسحرهم ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون﴾ وجردناهم من كنوزهم وأموالهم ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾ ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ فلما خرج موسى بقوته اتبعهم جنود فرعون فى الصباح بمكر من فرعون وبطر. ولحقوهم حال كونهم وقت الشروق، وقيل: داخلين نحو المشرق.

معانى الكلمات:

تلقف: تبتلع بسرعة

ما يأفكون: ما يقلبونه عن وجهه للتمويه

لشرذمة: لطائفة قليلة

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب
بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ
نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟
نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ
ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ
وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ
يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ
رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

ويجئ المشهد الحاسم الأخير:

٦١/٦٨ ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى﴾ أى: لما تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه، وظن أصحاب موسى أن فرعون سيلحقهم ولا طاقة لهم به ﴿قال﴾ موسى ﴿كلا إن معي ربي﴾ إن معى ربى بالنصر والهداية ﴿سيهدين﴾ أى يدلنى على طريق النجاة فلا تخافوا. فأوحينا إليه ن اضرب بعصاك البحر فتفلق إلى أقسام فكان كل قسم منه كالجبل العظيم ـ وقعت المعجزة، وتحقق الذى يقول عنه الناس: مستحيل. لأنهم يقيسون سنة الله على المألوف المكرور.

ووقف فرعون مع جنوده مبغوتًا مشدوهًا بذلك المشهد الخارق. وتم تدبير الله. فخرج بنو إسرائيل من الشاطئ الأحر. بينما كان فرعون وجنوده بين مرقى الماء أجمعين. وقد قربهم الله لمصيرهم المحتوم:

﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ أى قربناهم إلى البحر، والآخرون: فرعون وقومه ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ ـ ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ يعنى فرعون وقومه ـ ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ فإنه لم يؤمن منهم إلا قليل كآسية امرأة فرعون ـ ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ ـ أى: المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه.

الدرس الثالث
(قصة إبراهيم -عليه السلام-)

١٠٤/٦٩

مدة الحفظ: يوم واحد.

٧١/٦٩ ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم...﴾ والحلقة التى تعرض هنا من قصة إبراهيم -عليه السلام- هى حلقة الرسالة إلى قومه. وإبراهيم الذى يزعمون أنهم ورثته، وأنهم يتبعون دياناته. اتله عليهم وهو يستنكر ما كان يعبده أبوه وقومه ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾. وهو كان يعلم أنهم يعبدون الأصنام، ولكنه أراد إلزامهم الحجة ﴿قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين﴾ وهنا فى قولتهم أنها أصنام فهذا سخف لأنهم ينحتونها من الحجر. ويأخذ إبراهيم يوقظ قلوبهم الغافية، وينبه عقولهم المتبلدة:

٧٢ ﴿قال هل يسمعونكم إذ تدعون...﴾ فإن كانت صماء لا تسمع فهل هى تملك النفع والضر؟ ﴿أو ينفعونكم أو يضرون﴾.

ولم يجب القوم بشئ، وهم لا يملكون الحجة لدفع ما يقول:

٧٣ ﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ فعكفنا عليها وعبدناها! وهو جواب مخجل ولكن المشركين لم يخجلوا أن يقولوه. قال إبراهيم أفرأيتم ما تعبدون أنتم وما كان بعبدة آباؤكم، إنهم أعدائى إلا رب العالمين ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ يرشدنى إلى مصالح الدين والدنيا وقد وصف الخليل ربه بما يستحق العبادة لأجله ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ فيهيئ لى مقومات حياتى ﴿وإذا مرضت فهو يشفين (٨٠) والذي يميتني ثم يحيين﴾ والمغفرة للذنب، كلها نعم يجب أن يُشكر المنعم بها بجميع أنواع الشكر ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ رب هب لى كمالاً فى العلم والعمل استعد به للقيام على صراطك ﴿وألحقني بالصالحين﴾.

معانى الكلمات:

فرق: قطعة من البحر.

وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا
إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

٨٤ ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ الذين يأتون بعدى إلى يوم القيامة.

٨٥ ﴿ واجعلني من ورثة جنة النعيم ﴾ وقد دعا ربه -من قبل- أن يلحقه بالصالحين.

٨٦ ﴿ واغفر لأبي إنه كان من الضالين ﴾ وهو هنا يستغفر لأبيه بناء على موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

٨٧/ ٨٩ ﴿ ولا تخزني يوم يبعثون (٨٧) يوم لا ينفع مال ولا بنون (٨٨) إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ ويتبين هنا مدى شعوره بهول اليوم الآخر، ومدى حيائه من ربه، وخشيته من الخزى أمامه ونستشف من قوله ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴾ مدى إدراكه لحقيقة ذلك اليوم فليس هناك من قيمة فى يوم الحساب إلا قيمة الإخلاص ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾.

٩٠/ ٩٥ ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين.. ﴾ أى: قربت وأدنيت لهم ليدخلوها ﴿ وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ أى: جعلت بارزة لهم. أظهر الله الجنة للمؤمنين قبل أن يدخلوها، وأظهر النار للكفار قبل أن يدخلوها، ليشتد حزن الكافرين، ويكثر سرور المؤمنين ﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون ﴾ أى ألقوا في جهنم هم: يعنى المعبودين، والغاوون: يعنى العابدين لهم، قلبوا جميعا على رؤوسهم ﴿ وجنود إبليس أجمعون ﴾ شياطينه الذين يغوون العباد.

٩٦/ ٩٩ ﴿ قالوا وهم فيها يختصمون... ﴾ فيقول العابدون للمعبودين ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين ﴾ أقسموا أنهم كانوا على الضلالة الواضحة ﴿ إذ نسويكم برب العالمين ﴾ فنعبدكم كما نعبده ﴿ وما أضلنا إلا المجرمون ﴾ من شياطين الإنس والجن الذين بارزوا الله بالعداوة.

١٠٠ ﴿ فما لنا من شافعين ﴾ يشفعون لنا من العذاب.

١٠١ ﴿ ولا صديق حميم ﴾ أى: صديق ذى قرابة يعيننا وينقذنا من بأس الله وعذابه.

١٠٢ ﴿ فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ﴾ أى رجعة إلى الدنيا.

١٠٣ ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ قيل المراد: قوم إبراهيم.

١٠٤ ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ القاهر لأعدائه، الرحيم بأوليائه.

الدرس الرابع
(قصة نوح -عليه السلام-)
١٢٢/١٠٥

مدة الحفظ: يوم واحد

١٠٥ ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ تلك هى النهاية ثم يأخذ فى التفصيل بعدما أبرزها منذ البداية.

١٠٦ ﴿ إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ﴾ هذه هى دعوة نوح التى كذبه فيها قومه.

١٠٧ ﴿ إني لكم رسول... ﴾ من الله ﴿ أمين ﴾ فيما أبلغكم عنه.

١٠٨ ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ اجعلوا طاعة الله وقاية لكم من عذابه.

١٠٩ ﴿ وما أسألكم عليه من أجر... ﴾ أى: ما أطلب منكم أجرًا على تبليغ هذه الرسالة ﴿ إن أجري إلا على رب العالمين ﴾ فمنه أرجو الثواب جزاء على دعوتي لكم.

١١٠ ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ فقد وضح لكم وبان صدقي ونصحى.

١١١ ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ وهم يعنون بالأرذلين الفقراء.

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

ويجيبهم نوح الجواب الذي يقرر القيم الثابتة، ويحدد اختصاص الرسول:

١١٣/١٢٢ ﴿قال وما علمي بما كانوا يعملون﴾ والمعنى: وما علمي بعملهم؟ أي: لم أكلف العلم بأعمالهم، إنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان ﴿إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون﴾ أي. ما حسابهم والتفتيش عن ضمائرهم وأعمالهم إلا على الله، ولو كنتم من أهل الشعور والفهم لفهمتم ذلك وآمنتم به.

١١٤/١١٥ ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ هذا جواب من نوح على طلب الطرد لهم.

١١٦ ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ أي هددوه بمعاملته بالسيئ من القول، ومن الشتم والإهانة.

١١٧/١١٨ ﴿قال رب إن قومي كذبون﴾ أي: أصروا على تكذيبي، ولم يسمعوا قولي، ولا أجابوا دعائي ﴿فافتح بيني وبينهم فتحا﴾ أي: احكم بيني وبينهم حكمًا بين الحق من المبطل ﴿ونجني ومن معي من المؤمنين﴾ فلما دعا ربه بهذا الدعاء استجاب له فقال:

١١٩/١٢٢ ﴿فأنجيناه ومن معه...﴾ فنجيناه ومن آمن معه في السفينة المشحونة من كل صنف اثنين ثم اغرقنا بعد ذلك ﴿الباقين﴾ من قومه ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي. في نجاة نوح والمؤمنين معه ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ ويجئ هذ التعقيب المكرر في السورة عقب كل آية.

الدرس الخامس:
(قصة عاد)
١٢٣/١٤٠

مدة الحفظ: يوم واحد.

١٢٣/١٣٠ ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٢٢) كذبت عاد المرسلين (١٢٣) إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾ أي ألا تخافون الله وتحسبون لبطشه حسابا، ﴿إني لكم رسول أمين﴾ أمين فلا يزيد ولا ينقص فيما أمره ربه بإبلاغه إليهم وعليه ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فطاعتي واجبة عليكم ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ ولو قل ﴿إن أجري﴾ أي ما أجرى إلا على رب العالمين سبحانه وتعالى. ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾ الريع: المكان المرتفع من الأرض ﴿وتتخذون مصانع﴾ هي الأبنية التي يتخذها الناس منازل وقيل هي الحصون المشيدة ﴿لعلكم تخلدون﴾ كأنكم باقون مخلدون ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ فيهم عتاة غلاظ يتجبرون حين يبطشون.

١٣١/١٣٥ ﴿فاتقوا الله وأطيعون...﴾ ويذكرهم نعمة الله عليهم بما يستمتعون به ويتطاولون ويتجبرون ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون﴾ فهو سبحانه أمدكم من النعم بما تعلمونه. أمدكم بمواش وأولاد وجنات تحيط بها العيون الغزيرة بالماء. وهو حريص الا يحل بهم عذاب ذلك اليوم الذي لا شك فيه ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾.

ولكن هذه التذكرة وهذا التخويف، لا يصلان إلى تلك القلوب اليابسة الفظة الغليظة فإذا الإصرار والعناد:

١٣٦ ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ فما يعنينا أن تعظ أولا تكون أصلاً من الواعظين وهو تعبير فيه استهانة واستهتار وجفوه.

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

١٣٨/١٣٧ ﴿إن هذا إلاَّ خُلُقُ الأوَّلين * وما نحنُ بمعذَّبين﴾ فحجتهم فيماهم عليه، وفيما يستنكره عليهم هود، أنه خلق الأولين ونهجهم. وهم يسيرون على نهج الأولين.

ويمضى السياق قدمًا إلى النهاية:

١٤٠/١٣٩ ﴿فكذَّبوهُ فأهلكْناهُمْ..﴾ أى أهلكهم الله جزاء على تكذيبهم ﴿إنَّ في ذلكَ لآيةً وما كانَ أكثرُهُم مؤمنين﴾ آية يتناقلها الناس إلى اليوم ﴿وإنَّ ربَّك لهُو العزيزُ الرَّحيمُ﴾ عزيز لا يستعصى عليه متمرد، رحيم لا يؤاخذ إلا بعد الإعذار والإمهال.

الدرس السادس: (قصة ثمود)

١٥٩/١٤١

مدة الحفظ: يوم واحد.

١٤٥/١٤١ ﴿كذَّبتْ ثمودُ المُرسلين﴾ إنها ذات الدعوة بألفاظها يدعوها كل رسول، إذ قال صالح لقومه بنى ثمود يا قومى ألا تخشون ربكم فتطيعوا أمره وتعبدوه؟ ﴿إني لكُمْ رسُولٌ أمينٌ﴾ أمين عليكم، حفيظ على مصالحكم فاحذروا الله وأطيعون. ﴿وما أسألُكُمْ عليْه منْ أجْر﴾ فما أجرى ﴿إلاَّ علىٰ ربِّ العالمين﴾.

١٤٩/١٤٦ ﴿أتُتْركُونَ في ما هاهُنا آمنينَ (١٤٦) في جنَّات وعُيُون﴾ وإنهم ليعيشون بين هذا المتاع الذى يصوره لهم أخوهم صالح، ولكنه يعيشون فى غفلة وتتركون فى البيوت تنحتونها في الصخور بمهارة وبراعة ﴿بُيُوتًا فارهين﴾ فى أناقة وفراهة.

١٥٢/١٥٠ ﴿فاتَّقُوا الله وأطيعُون﴾ أى اتقوا الله بأداء حقه عليكم من توحيده وإفراده بالعبادة والإيمان برسالتى إليكم وأطيعونى فيما آمركم به وأنهاكم عنه ﴿ولا تُطيعُوا أمْرَ المُسْرفينَ﴾ أى: المشركين. وقيل: هم الذين عقروا الناقة. ثم وصف هؤلاء المسرفين بقوله: ﴿الَّذين يُفْسدُونَ في الأرْض ولا يُصْلحُونَ﴾ يفعلون الفساد فى الأرض بالكيد لصالح والمؤمنين معه، ولا يصدر منهم الصلاح البتة.

١٥٤/١٥٣ ﴿قالُوا إنَّما أنت من المُسحَّرين...﴾ أى: الذين أصيبوا بالسحر. وقيل المسحر: هو المعلل بالطعام والشراب. فكأنهم قالوا: إنما أنت بشر مثلنا تأكل وتشرب. ﴿ما أنتَ إلاَّ بشرٌ مثْلُنا﴾ فرأوا أن كونه بشرًا مثلهم يكذبه فى دعوى النبوة ﴿فأتِ بآية﴾ أى بعلامة تستيقن عند رؤيتها أنك رسول من رب العالمين ﴿إن كُنتَ منَ الصَّادقين﴾ وهكذا طلبت ثمود تلك الخارقة، فاستجاب الله لعبده صالح.

١٥٧/١٥٥ ﴿قال هذه ناقةٌ...﴾ أخرج الله لهم بعد طلبهم الآية: ناقة من الجبل حيه يرونها ويلمسونها بأيديهم لتكون حجة على نبوة نبيه صالح، كما طلبوا ﴿لها شربٌ ولكُمْ شربُ يومٍ معْلوم﴾ أى لها نصيب من الماء، ولكم نصيب منه معلوم. إن اصبتموها بسوء أخذكم عذاب يوم عظيم الهول ﴿فعقَرُوها﴾ فذبحوها وندموا خوفًا من حلول العذاب بهم.

١٥٩/١٥٨ ﴿فأخَذهُمُ العَذابُ...﴾ الذى وعدهم به. والعذاب الذى أخذ قوم صالح أن الأرض رجفت بهم أى زلزلت زلزالاً شديدًا، ثم جاءت الصيحة فخلعت قلوبهم ﴿إنَّ في ذلكَ لآيةً وما كانَ أكْثرُهُم مُؤمنين﴾ مع وضوح الأدلة لأنهم لم يسبق لهم إيمان فى قضاء الله ﴿وإنَّ ربَّك﴾ أيها الرسول لهو وحده العزيز الغالب ﴿الرَّحيمُ﴾ بأوليائه وصالحى عباده.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

الدرس السابع
(قصة لوط)
١٧٥/١٦٠
مدة الحفظ: يوم واحد.

يبدأ لوط مع قومه بما بدأ به نوح وهود وصالح. يستكر استهتارهم، ويدعوهم إلى الإيمان:

١٦٠/١٦٦ ﴿كذبت قوم لوط المرسلين...﴾ وقد تقدم تفسير قوله ﴿إذ قال لهم﴾ إلى آن يواجههم باستنكار خطيئتهم الشاذة التي عرفوا بها في التاريخ ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾ أي: أتنكحون الذكور من الناس؟ وهي الفاحشة التي لم يفعلها أحد من الناس قبلهم ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ لأجل استمتاعكم به من النساء، ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ أي مجازون للحد في جميع المعاصي، ومن جملتها هذه المعصية.

فلما دعاهم لوط لى ترك الشذوذ، تبين أنهم غير مستعدين للعودة إلى ركب الحياة:

١٦٧ ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ وقد كان فيهم غريبا. وقد وفد عليهم مع عمه إبراهيم حين اعتزل أباه وقومه وترك وطنه وأرضه.

١٦٨ ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ أي من المبغضين له

١٦٩ ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ لينجو من عملهم الخبيث، أو من عقوبته التي تصيبهم

١٧٠/١٧٥ ﴿فنجيناه وأهله أجمعين﴾ إلا عجوزا هي إمرأته قدرنا أن تكون من الباقين رهن العذاب لكفرها. ثم دمرنا الباقين بأن أمطرنا عليهم مطرا من الحجارة ﴿فساء مطر المنذرين﴾ الذين أنذروا ولم يتعظوا بالإنذار ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ وإن ربك هو العزيز الغالب القاهر.

الدرس الثامن
(قصة شعيب)
١٩١/١٧٦
مدة الحفظ: يوم واحد.

وبدأهم شعيب بما بدأ به كل رسول إلى قومه من أصل العقيدة والتعفف عن الأجر:

١٧٦/ ١٨٠ ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ والأيكة اسم البلد كله. وقيل: الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر.. إذ قال لهم شعيب ألا تخافون الله؟ إني لكم منه رسول أمين. ما أسألكم من أجر على إصلاحكم إن أجري إلا على رب العالمين.

ثم أخذ يواجههم بما هو خاصة شأنهم:

١٨١ ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ وقد كان شأنهم أن يطففوا في الميزان والكيل. وأن ياخذوا بالقسر والغضب زائدا عن حقهم، ويعطوا أقل من حق الناس، ويشتروا بثمن بخس ويبيعوا بثمن مرتفع.

١٨٢ ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ أي أعطوا الحق بالميزان السوي دون أن تعبثوا به سرا لتنقصوا حق المشتري.

١٨٣ ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم.﴾ أي: لا تنقصوا الناس حقوقهم التي لهم ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ يعني قطع الطريق أو القتل والسلب ومنع الحقوق وارتكاب المعاصي والذنوب.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ
مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ
عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

١٨٤ ﴿واتَّقُوا الَّذي خلقكُمْ والْجبلَّة الأوَّلين﴾ يعنى: الأمم المتقدمة.

١٨٥/١٨٦ ﴿قالُوا إنَّما أنتَ منَ المُسحَّرين (١٨٥) وما أنت إلاَّ بشرٌ مثلُنا...﴾ فاستنكروا رسالته واطلقوا عليه هذا الاتهام.

١٨٧/١٨٨ ﴿فأسقطْ علينا كسفًا منَ السَّماء إن كُنت منَ الصَّادقين﴾ وهو تحدى المستهتر الهازئ المستهين ﴿قالَ ربِّي أعلَمُ بما تعملُون﴾.

ويعجل السياق بالنهاية دون تفصيل ولا تطويل:

١٨٩ ﴿فكذَّبُوهُ فأخذَهُمْ عذابُ يومِ الظُّلَّة...﴾ أخذهم حر خانق شديد يكتم الأنفاس يثقل الصدور ثم تراءت لهم سحابة فاستظلوا بها، فوجدوا لها بردًا. ثم إذا هى الصاعقة المجلجلة المدوية... وكان ذلك يوم الظلة.

١٩٠/١٩١ ﴿إنَّ في ذَلكَ لآيةً...﴾ ويختم القصص فى السورة ليجئ على أثره التعقيب الأخير...

الدرس التاسع

(حديث عن القرآن)

٢٢٧/١٩٢

مدة الحفظ: يوم واحد

هذا الدرس جاء للتعقيب الأخير يتحدث عن القرآن...

١٩٢ ﴿وإنَّهُ لتنزيلُ ربِّ العالمينَ﴾ أى: وإن القرآن، ومنه هذه الأخبار التى تتلى عليكم، منزل من الله رب العالمين.

١٩٣ ﴿نزل به الرُّوحُ الأمينُ﴾ وهو جبريل كما فى قوله ﴿قُلْ من كانَ عَدُوًّا لِّجبريلَ فإنَّهُ نزَّلَهُ على قلبك﴾ «البقرة ٩٧»

١٩٤ ﴿علىٰ قلبك...﴾ تلاه على قلبه لأنه أول مدرك من الحواس الباطنة، حتى حفظه وفهمه ﴿لتكون من المنذرين﴾ أى: أنزله عليك لتنذرهم بما تضمنه من التحذيرات والإنذارات والعقوبات.

١٩٥ ﴿بلسانٍ عربيٍّ مُبين﴾ جعل الله سبحانه وتعالى القرآن عربيًا بلسان الرسول العربى لئلا يقول مشركو العرب: لسنا نفهم ما تقوله بغير لساننا، فقطع بذلك حجتهم.

وينتقل من هذا الدليل الذاتى إلى دليل آخر خارجى:

١٩٦ ﴿وإنَّهُ لفي زُبُرِ الأوَّلين﴾ أى: أن هذا القرآن مذكور مبشر به فى التوراة والإنجيل.

١٩٧ ﴿أولَمْ يكُن لَّهُمْ آيةً أن يعلَمهُ علَماءُ بَني إسرائيل﴾ أى أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بنى إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن فى كتبهم التى يدرسونها.

١٩٨/١٩٩ ﴿ولو نزَّلْناهُ علىٰ بعْض الأعْجَمين (١٩٨) فقرَأهُ عليْهم مَّا كانُوا به مُؤْمنينَ﴾ كما أخبر عنهم فى الآية الأخرى ﴿ ﴾.

وفى هذا تسرية عن رسول الله ﷺ ثم يعقب على هذا بأن هذا التكذيب مكتوب على القوم ملازم لهم بحكم عنادهم:

٢٠٠/٢٠٣ ﴿كَذٰلكَ سلَكْنَاهُ في قُلوب المُجْرمين﴾ أى: أدخلنا الشرك والتكذيب فى قلوب المجرمين ﴿فيَأتيَهم﴾ العذاب ﴿بَغْتَةً﴾ أى فجأة ﴿وهُمْ لا يشْعُرُونَ﴾ بإتيانه ﴿فيَقُولُوا هلْ نَحنُ مُنظَرُونَ﴾ أى: مؤخرون وممهلون لنؤمن ونعمل الصالحات.

قالوا هذا تحسرًا على ما فات من الإيمان، وتمنيًا للرجعة إلى الدنيا لاستدراك ما فرط منهم.

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمۡلِ

٢٠٤/٢٠٧ ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ بقولهم: أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾ أى: سنين في الدنيا متطاولة، وطولنا لهم الأعمار ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب والهلاك. ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ أى شئ يغنى عنهم كونهم ممتعين ذلك التمتع الطويل؟

٢٠٨ ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ فهو سبحانه يخوفهم بأن الإنذار مقدمة الهلاك:

﴿ذكرى﴾ أى: هذا الخبر عن الآخرة تذكير للناس ما داموا فى دار العمل ﴿وما كنا ظالمين﴾ فى تعذيبهم، فقد قدّمنا الحجة إليهم وأعذرنا إليهم.

٢٠٩/٢١٢ ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ أى: بالقرآن، وهذا ردّ لما زعمه الكفرة فى القرآن أنه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة ﴿وما ينبغي لهم﴾ ذلك ولا يصح منهم ﴿وما يستطيعون﴾ ما نسبه الكفار إليهم أصلاً ﴿إنهم عن السمع للقرآن، أو لكلام الملائكة ﴿لمعزولون﴾ محجوبون مرجومون بالشهب. إنما يتنزل به الروح الأمين، بإذن من رب العالمين.

وليس هذا ميسور للشياطين.

وهنا يلتفت بالخطاب إلى رسول الله ﷺ يحذره من الشرك وهو أبعد ما يكون عنه ليكون غيره أولى بالحذر.

٢١٣ ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين﴾ كأنه قال: يامحمد: أنت أكرم الخلق علىّ، وأعزهم عندى، ولو اتخذت معى إلها لعذبتك، فكيف بغيرك من العباد؟

٢١٥/٢٢٠ ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أى: أظهر لهم المحبة، والكرامة، وتجاوز عنهم. فإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ من أعمالهم ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ وتوكل على الله الذى يراك فى تصفح وجوه الساجدين ويراك فى وحدتك، ويراك في جماعة المصلين ﴿إنه هو السميع العليم﴾.

٢٢١/٢٢٣ ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾ تتنزل على كل كذاب مجرم، يلقون إليهم السمع وأكثرهم مفترون.

وهنا يوضح أن منهج الرسول ﷺ ومنهج الشعراء مختلفان، ولا شبهة هناك فالأمر واضح صريح:

٢٢٤/٢٢٦ ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ فهم يتبعون المزاج والهوى، وهم يهيمون في كل واد من وديان الشعر ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ من القول بين مدح وهجاء وغيرهما طلبا للمنافع الشخصية ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ لأنهم يعيشون فى عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم.

ومن ثم يستثنى القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء:

٢٢٧ ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام ﴿وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقتهم ليصلوا إلى نصرة الحق الذى اعتنقوه.

وتختم السورة بهذا التهديد الخفى المجمل: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ وتنتهى السورة بهذا التهديد المخيف الذى يلخص موضوع السورة.